مَعَ القرآنِ الكريمِ

تأليف

خادم القرآن الكريم محمود خليل الحصري رحمه الله تعالى

شيخ المقارئ المصرية

وخبير لجنة القرآن والحديث بمجمع البحوث الإسلامية

ورئيس اتحاد قراء العالم "اقرأ".

ورئيس لجنة تصحيح المصاحف ومراجعتها بالأزهر.





تأليف

خادم القرآن الكريم محمود خليل الحصري رحمه الله تعالى

شيخ المقارئ المصرية

وخبير لجنة القرآن والحديث بمجمع البحوث الإسلامية

ورئيس اتحاد قراء العالم «اقرأ».

ورئيس لجنة تصحيح المصاحف ومراجعتها بالأزهر.

مكتبة السنة

الطبعة الأولى لمكتبة السنة بالقاهرة
١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ م

رقم الإيداع : ٥٥٨٤ / ٢٠٠٢
طبع بدار نوبار للطباعة



مكتبة السنة
الدار السلفية لنشر العلم

القاهرة : ٨١ شارع البستان - ميدان عابدين ،ناصية شارع الجمهورية،
تليفون : ٣٩٠٠٣١٨ - ٣٩١٣٥٣٢ فاكس : ٣٩١٣٥٣٢ - تلكس: ٢١٧١٩ TLTHRB UN
ص . ب : ١٢٨٩ - الرمز البريدى : ١١٥١١

كلمة
فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر
الشيخ محمود شلتوت
في كتاب «مع القرآن الكريم»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن أسعد وقت للإنسان في حياته هو ما يعيش فيه مع القرآن بروحه وعمله واتجاهه، وذلك عن طريق تطبيق مبادئه ومُثُله وقِيَمه. على نفسه وعلى أهله وذويه، ومحاولته جاهدًا أن يطبقها كذلك على مجتمعه الذي يعيش فيه، فالقرآن الكريم هو النبراس الذي يضيء لنا هذه الحياة، والقبس الذي نمشي على ضيائه، والنور الذي يوضح لنا معالم المعرفة والهداية، إذ هو الجامع لكل ألوان المعرفة وأنواعها، مما يتصل بحياة الإنسان، وما ينفعه في دينه ودنياه، وفي معاشه ومعاده وهو الذي نقل إلينا النظام الإلهي.

وهو الدستور السماوي للبشر كافة، وللخلق عامة، وصدق رسول اللَّه ﷺ إذ يقول في شأن القرآن: «**فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل، من**

تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١] من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجر، ومن دعى إليه هدي إلى صراط مستقيم، وهو عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب».

فإذا كان هذا هو شأن القرآن الكريم فما أحلى ما يتبع الإنسان هداه، ويسلك طريقه ومنهاجه، ولذا كان كل وقت يقضيه الإنسان مع القرآن هو الوقت الفريد بالسعادة، المليء بالخير، المحاط بالعناية الإلهية والرعاية الربانية، وكثير من الناس آتاهم الله حظ الدنيا والآخرة، ومنحهم السعادة فيهما عن هذا الطريق المستقيم، طريق القرآن الكريم فحفظوه، وجودوه، ورعوه حق الرعاية، واستمروا دائبين يخدمونه ويسعدون به؛ لأنه دائمًا يهدي إلى الحق، وإلى صراط مستقيم.

وكان ممن عرفت من هؤلاء ولدنا الشيخ محمود الحصري، عرفته قارئًا مجيدًا، يخشى اللَّه في قراءته، ويتبع السلف الصالح في طريقتهم في قراءة كتاب اللَّه تعالى، فما يحيد عنها قيد أنملة، ولا يبتعد عنها ما استطاع لذلك سبيلا، تملأ قراءته القلوب سكينة وأمنًا وطمأنينة، وتفتح أمام أعين سامعيه سبل الهدى والرشاد.

وما أحسنَ ما يبتعد القراء بأصواتهم المؤثرة عن التغني بالقرآن والإفراط في غنه ومده، والتلاعب بتمطيط حروفه، وترقيص كلماته جريًا وراء قواعد النغم والموسيقى التي تذهب برونق القراءة وبهاء التلاوة، وذلك حين يخرجون به عن الحد الذي أنزله اللَّه فتضيع حكمته من أذهان السامعين، وترتبط قلوبهم بالأغاني التي تحيد بهم عن القرآن وعن أسراره وحكمه.

وحين قدم إلينا الشيخ محمود الحصري كتابه «مع القرآن الكريم» حمدت له هذا الصنيع القيم الذي ضم به خدمة كريمة إلى خدماته التي يقدمها إلى القرآن الكريم تقربًا للَّه، ولما قرأت الكتاب وجدته كتابًا يحتاج إليه المسلمون الذين يحبون القرآن، وهو فوق ذلك بيان طيب لما يجب مراعاته في قراءة القرآن وتلاوته حتى يكون الناس على بينة من أمر قرائهم، وليكونوا على هدى في اتجاه سيرهم، وجدته يكتب في الموضوع جامعًا

للأحاديث التي تبين الفضل الذي يؤتيه المولى لقارئ القرآن والثواب الذي يعطيه لتاليه، ويمنحه له، ثم هو يذكر الناس بالآثار الطيبة والثمر الشهي يظفر به الذين يعملون بالمبادئ التي اشتمل عليها القرآن الكريم.

وحين قرأت ذلك تذكرت قول الرسول ﷺ: **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»** فإن تعليم القواعد التي ينبغي أن يسير عليها المسلمون بالنسبة للقرآن هو الأمر اللازم والضرورة المحتمة في هذه الحياة .

إن هذا السفر الجليل قد ضم من الأحكام ما يتصل بما يفعله بعض القراء من ترك بعض الآيات أثناء التلاوة ليستقبل بها عظيمًا أو ليتجنب بها إنذارًا وتخويفًا لا يناسب المقام ولا يوافق المزاج، فيعمد المؤلف إلى بيان شناعة هذا الأمر وفداحته، ومجافاته للأدب الذي ينبغي أن يتصف به قارئ القرآن، فإن فاعله بعمله هذا كأنه يستدرك على الخالق ويعقب عليه إذ أنه يدعي أنه أكثر أدبًا وأشد رعاية لشعور السامعين من القرآن الكريم، ثم يقول: وكأني بهذا النوع من القراء وهو يزعم أن عنده من الرحمة بالخلق والإشفاق عليهم ما ليس عند أرحم الراحمين وما ليس عند المبعوث رحمة للعالمين.

لقد صدق المؤلف فيما كتب فإن اللّه سبحانه العليم ببواطن

الأمور الرحيم بعباده لأعلم بما تقتضيه حالات عباده وما يناسب ظروفهم وأحوالهم، وكما أنزل على عبده آيات الوعد أنزل عليه آيات الوعيد، وكما أنزل آيات البشارة، أنزل آيات التخويف ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠] وليست مهمة الرسول الأعظم ﷺ مهمة تبشير فحسب إنما رسالته التحذير كما أن رسالته التبشير ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فاطر: ٢٤] فجزى الله المؤلف خيرًا لبيانه الواضح في هذا الجانب. وليتق الله القراء فيما يقرءون، وليعلموا أنهم بسلوكهم هذا يشوشون على السامع، ويوقعونه في حيرة من الأمر فوق أنهم يرتكبون إدًّا في مخالفتهم لمحكم نسج القرآن العظيم وترابط آياته الكريمة؛ فإن ترتيب الآي أمر توقيفي لا مجال للاجتهاد فيه ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وكان من خير ما أعجبني في هذا الكتاب هو بيانه الواضح في حكم ما يقدم عليه كثير من القراء من الجمع بين القراءات في المحافل العامة التي ابتلي بها قراء القرآن في هذه الحقبة من الزمن، الأمر الذي تبعثرت فيه الأفهام عند السماع، وتبلبلت فيه الأفكار، وبعدت عن التدبر والتفهم لكتاب الله فلم تعد القراءة

إلا أصواتًا موسيقية تُشنِّف آذان السامعين حتى إنها لتحجب المعاني عن القلوب.

رأيته يركز تركيزًا قويًا على أنواع الجَمْع فيعرض لها يوضح رأي الشرع فيها ويصل عن طريق الدليل إلى قول قاطع ورأي حازم وهو عدم جواز الجمع بين القراءات في الآية الواحدة أو الربع الواحد، وقد سبق أن أبنَّا هذا الموضوع وأدلينا برأينا فيه من عدم جوازه بالنسبة للقراء إلى الجماهير، وبعثنا به إلى إذاعة الجمهورية لينشر على الناس.

رأيت ذلك كله في الكتاب مدعمًا بالدليل والحجة والبرهان من السنة الكريمة، رأيت ذلك فدعوت اللَّه له ولكل من يخدم القرآن على هذا النحو، ويتجه إليه بقلبه أن يجعل ذلك كله صادرًا عن إيمان عميق وبنية صادقة متجهة إلى اللَّه تعالى وهو رب العرش. فإنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

حقق اللَّه به القصد، ونفع به أهل العلم، ويسر اللَّه به الخير لأهله.

والسلام عليكم ورحمة اللَّه

محمود شلتوت

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد للّه، والصلاة والسلام على سيدنا رسول اللّه، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد: فقد تصفحت هذا الكتاب «مع القرآن الكريم» الذي ألفه صديقنا الفاضل الأستاذ الشيخ محمود خليل الحصري، وأنعمت النظر فيما تضمنه، فألفيته قد أوفى على الغاية في تنسيق مباحثه، وتنظيم مسائله، وحقية أحكامه، وتجلية وجه الصواب فيها، وتوخى الدقة في تحديدها وتحريرها، في رصانة أسلوب، وجزالة تركيب، وعذوبة تعبير، وجمال عرض، وحسن سبك، ومما زاد في إعجابي بهذا الكتاب وضاعف سروري من تأليفه دعمه كل دعوى بدليلها، وتعزيزه كل مسألة ببرهانها، وعنايته الفائقة بتخريج الأحاديث التي أوردها، وإسناد الآثار إلى ذويها.

وأسأل اللّه جلت قدرته أن يحقق بهذا الكتاب النفع، ويجزل لمؤلفه الأجر، جزاء ما بذل من جهد يشكر عليه، وقدَّم من فضل يذكر به، واللّه لا يضيع أجر من أحسن عملا.

خادم العلم والقرآن

عبد الفتاح القاضي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد للّه الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، وجعله لدنيا الناس وأخراهم منهجًا، وصلاة اللّه وسلامه على سيدنا محمد القائل: «**إن للّه أهلين**» قيل من هم يا رسول اللّه؟ قال: «**أهل القرآن أهل اللّه وخاصته**».

وبعد: فقد اطلعت على كتاب«مع القرآن الكريم» الذي توفر على تأليفه الأستاذ الشيخ محمود خليل الحصري، فوجدته قد جمع مباحث هامة طالما حنت إليها قلوب قوم آمنوا بربهم، فمن فضل للقرآن وقارئه ومستمعه - إلى استذكاره والتحذير من نسيانه، إلى التنبيه على مخالفات من قراء هذا العصر أثناء تلاوته وجمعه، إلى غير ذلك من أمور لا ينبغي لمؤمن أن يجهلها فضلًا عن قارئ القرآن الكريم، فهو حديقة غناء يطرب للحن بلابلها السامع، وهو تبيان لمن أراد التبيان، يحيي من القلوب مواتها، ويشفي صدور قوم مؤمنين. فكأنه المعنيُّ بقول الشاعر:

فمن هدي النبي قبست هديًا ومن نور الإله قبست دينًا
أبنت بسفرك الميمون رشدًا به تحيا قلوب المؤمنينا
أبنت لأمة الإسلام فيه طريق النور يهدي الحائرينا

فجزى اللَّه مؤلفه عن القرآن وأهله خير الجزاء، وجعله محمودًا في أخراه كما هو محمود في دنياه، وصلوات اللَّه وسلامه على من اصطفاه.

خادم العلم والقرآن

أحمد محمد أبو زيتحار

المدرس بمعهد دمنهور الديني

ومن قرَّاء القراءات العشر الكبرى

تحية خالصة

يَـمِـينًـا لَـشَـيْـخُ الْقَـارِئِـينَ مُـوَفَّـقُ
وَإِنَّ «مَعَ القرآن» خَيْرُ مُؤَلَّفِ

وَلِلحُصَرِيِّ دَوْمًا سِيَاحَاتُ عَاشِقٍ
يَخُصُّ بِهَا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْمَعَارِفِ

تَـجَلَّى عَـلَيـهِ الـلَّه جَـلَّ جَـلَالُهُ
فَأَخْرَجَ لِلقُرَّاءِ خَيْرَ مُصَنَّفِ

وَمَـحْـمـودُنَـا نُـورٌ وَبَـهْـجَـتُـهُ تُـقًـى
نَعِمْنَا بِهَا دَهْرًا بِغَيْرِ تَكَلُّفِ

فَإِنْ شِئْتَ فَاصْحَبْهُ وَأَخْلِصْ لَهُ الْوَلَا
تَجِدْ خَيْرَ مَوْصُولٍ بِأَهْلِ التَّصَوُّفِ

فَـيَـارَبِّ بَـارِكْـهُ وَأَكْـرِمْ شَـبَـابَـهُ
وَهَبْهُ مَعَ التَّوْفِيقِ كلَّ اللَّطَائِفِ

أحمد أحمد علي
خادم العلم والقرآن الكريم
والأستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد للَّه الذي نزَّل الكتاب وهو يتولى الصالحين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خيرة النبيين، وصفوة المرسلين، المنزل عليه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥] وعلى آله وصحبه أهل القرآن وحماته، وعلى كل من سلك سبيلهم في الدفاع عن القرآن والذب عن بيضته.

وبعد: فقد رأيت بعض قراء هذا العصر يجورون عن القصد، ويميلون عن الجادة، وينحرفون عن الصواب في تلاوة القرآن الكريم، إذ يقرءون من الآيات ما يوافق هواهم دون رعاية للترتيب، وهم بذلك يقطعون ما وصل اللَّه.

ويعمدون إلى إعادة الآية وتكرارها بروايات مختلفة، وقراءات متنوعة، في المجلس الواحد، وتلك بدعة محدثة لم تؤثر عن سلف الأمة الصالح.

فوضعت هذا الكتاب نصيحة لكتاب اللَّه تعالى، وتبيينًا للصواب في قراءته، وذودًا عن أقدس ما يعتز به المسلمون، وإرشادًا لجمهرة التالين والسامعين.

وقد أضفت إليه بعض المباحث تتميمًا للفائدة، وتعميمًا للنفع، وخدمة لكتاب اللَّه، وطمعًا فيما ادخره اللَّه لأهل القرآن من حسن الجزاء، وجزيل العطاء.

علو القرآن على سائر الكتب المنزلة

القرآن الكريم هو كتاب اللّه الحكيم، ونوره المبين، وصراطه المستقيم، وهو آيته الكبرى، وهدايته العظمى، وهو معجزة الدهر، وكتاب الخلود، ودستور العالم.

أنزله اللّه على رسوله محمد ﷺ ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد.

وهو الكتاب الذي انتظم من العقائد الصحيحة، والآداب الجمة، والأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة ما هو كفيل بسعادة البشر في دنياهم الحاضرة، وحياتهم الثانية لو أنهم دانوا بما أوجب، وتأدبوا بما قنن، وتخلقوا بما شرع.

فهو الدواء الناجع، والبلسم الشافي لعلل البشرية النفسية، وأمراضهم الخُلُقية، ومشكلاتهم الاجتماعية، وصدق ربنا حيث يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٧ - ٥٨].

القرآن هو الذي إذا لازمه الإنسان، واتخذ منه خليلًا وسميرًا، يتلوه حق تلاوته، يتفهم سوره وآياته، ويتفقه جمله

وكلماته، أفاض عليه من الروحانية والهداية ما يجعله كبير العقل، صادق الرأي، نافذ البصيرة، رقيق الحس، صافي النفس، يأتي كل خير، ويتجنب كل شر ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

ولقد تأثرت به الجن ساعة سمعوه، وامتلأت قلوبهم بمحبته وإجلاله حتى أسرعوا لدعوة قومهم إلى اتباعه ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢].

وقد حكى القرآن عنهم أنهم ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠ - ٣١].

من أجل ذلك كله فاق هذا الكتاب كل ما تقدمه من الكتب السماوية، وكانت منزلته فوق منزلتها قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤].

وقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] أي عاليًا عليه. . . قال

العلماء: وعلو القرآن على سائر كتب اللَّه - وإن كان الكل من عنده - بأمور ثلاث:

الأمر الأول: أنه زاد عليها بسور كثيرة: فقد جاء في الحديث الصحيح أن نبينا ﷺ خُصَّ بسورة الحمد وخواتيم سورة البقرة.

وفي «مسند الدارمي» عن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال: إن السبع الطوال مثل التوراة، والمئين مثل الإنجيل، والمثاني مثل الزبور، وسائر القرآن بعد هذا فضل.

وأخرج الإمام أحمد والطبراني عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل**».

والسبع الطوال من أول البقرة إلى آخر براءة بجعل الأنفال وبراءة بمثابة سورة واحدة، والمئون هي السور التي تشتمل على مائة آية، والمثاني هي السور التي يكون عدد آياتها أقل من مائة آية، وأما المفصل فقد اختلف في أوله، فقيل من أول والصافات، وقيل من أول الفتح، وقيل من أول الحجرات، وقيل من أول «ق»، واتفقوا على أن منتهاه آخر القرآن الكريم.

الأمر الثاني: أن اللَّه تعالى جعله قرآنًا عربيًّا مبينًا. وكل نبي قد بين لقومه بلسانهم - كما أخبر اللَّه عز جل في قوله: ﴿وَمَآ

أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤] ولكن للسان العرب مزية في البيان، وفي الحديث: «**أحبوا العرب لثلاث: لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي**» رواه البيهقي والحاكم والطبراني.

الأمر الثالث: أن اللَّه تعالى جعل نطقه وأسلوبه معجزًا، وإن كان الإعجاز في سائر كتب اللَّه تعالى من حيث الإخبار عن المغيبات، والإعلام بالأحكام، ولكن ليس فيها نظم وأسلوب خارج عن المعهود، فكان القرآن أعلى منها بهذه المعاني وأمثالها، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤].

ومما يدل على هذا أيضًا قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. قال الإمام ابن كثير: وإنما فازوا بهذه ببركة الكتاب العظيم، القرآن الذي شرفه اللَّه تعالى على كل كتاب أنزله، وجعله مهيمنًا عليه، وناسخًا له، وخاتمًا له؛ لأن كل الكتب المتقدمة نزلت إلى الأرض جملة واحدة، وهذا القرآن نزل منجمًا بحسب الوقائع لشدة الاعتناء به، وبمن أنزل عليه، فكل مرة كنزول كتاب من الكتب المتقدمة. انتهى.

فضل تلاوة القرآن الكريم
وبيان ما أعد اللَّه لقرائه
من عظيم الأجر وجزيل المثوبة

قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩ - ٣٠] وفي هذه الآية الكريمة إشادة بالتالين لكتاب اللَّه تعالى، وبيان لعظيم أجرهم، وكريم جزائهم، وليس المراد بالتلاوة مجرد المرور بالكلمات، وترديدها على الأفواه من غير فكر ولا رَوِيَّة، وإنما المراد التلاوة التي يصحبها التمعن والتدبر الذي ينشأ عنه الإدراك والتأثر، ولاشك أن التأثر يفضي بالقارئ لا محالة إلى العمل بمقتضى قراءته، ولذلك أتبع اللَّه القراءة بإقامة الصلاة، وبالإنفاق سرًّا وعلانية من فضل اللَّه ثم برجاء القارئين - بسبب ذلك - تجارة لن تبور . . . فهم يعرفون أن ما عند اللَّه فيها خير مما ينفقون، ويتاجرون تجارة كاسبة، مضمونة الربح، يعاملون اللَّه وحده، وهي أربح معاملة، ويتاجرون بها

تجارة تؤدي إلى توفيتهم أجرهم، وزيادتهم من فضل اللَّه تعالى، ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٣٠] يغفر التقصير، ويشكر الأداء، وشكره تعالى كناية عن رضاه تعالى عن هؤلاء، وحسن جزائهم عنده.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«من نَفَّسَ عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نَفَّسَ اللَّه عنه كُربة من كُرب يوم القيامة، ومن يسَّرَ عَلَى معسر يسر اللَّه عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره اللَّه في الدنيا والآخرة، واللَّه في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل اللَّه له طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت اللَّه تعالى يتلون كتاب اللَّه ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم اللَّه فيمن عنده، ومن بَطَّأَ به عملُه لم يُسْرِعِ به نسبه»** أخرجه مسلم.

والكربة هي الشدة التي توقع صاحبها في الكرب، ومعنى تنفيسها تفريجها وإزالتها، وقوله: **«في بيت من بيوت اللَّه»** ليس البيت قيدًا فإذا اجتمعوا في مكان آخر غير المسجد كان لهم هذا الفضل أيضًا، فالتقييد ببيت اللَّه خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له. فالاجتماع للتلاوة في أي مكان يترتب عليه هذا الفضل وإن

كان الاجتماع للتلاوة والمدارسة في المسجد أفضل من الاجتماع في أي مكان آخر لما في المسجد من مزايا وخصائص لا توجد في غيره.

والمراد بالسكينة طمأنينة النفس، وانشراح الصدر، وهدوء الضمير.

قال الإمام النووي: وفي الحديث فضل قضاء حوائج المسلمين، ونفعهم بما تيسر من علم، أو مال، أو معاونة، أو إشارة بمصلحة، أو نصيحة، أو غير ذلك، وفيه فضل الستر على المسلمين، وفضل إنظار المعسر، وفضل المشي في طلب العلم. انتهى

وعن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله أوصني، قال: **«عليك بتقوى الله تعالى فإنها رأس الأمر كله»**، قلت يا رسول الله زدني، قال: **«عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض، وذخر لك في السماء»** أخرجه ابن حبان.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن لله أهلين من الناس»**، قيل من هم يا رسول الله؟ قال: **«أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»** أخرجه أحمد.

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ: **«اقرءوا**

القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه» رواه مسلم.

وعن النعمان بن بشير عن رسول اللَّه ﷺ قال: **«أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن»** أخرجه البيهقي.

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«حملة القرآن في ظل اللَّه يوم لا ظل إلا ظله»** أخرجه الديلمي.

وعن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«من قرأ حرفًا من كتاب اللَّه فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، أَمَا إني لا أقول«الٓمٓ» حرف، ولكن أَلِفٌ حرفٌ، وَلاَمٌ حرفٌ، وَميمٌ حرفٌ»** رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وعن عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«يقال لصاحب القرآن اقرأ وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كما كنت ترَتِّلُ في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»** رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

والمراد بصاحب القرآن في الحديث من يلازمه بتلاوته والعمل بما فيه.

ومعنى ارْتَقِ: اصعد في درجات الجنة،«وَرَتِّلْ» أي القراءة، وترتيل القراءة التأني فيها، وتبيين حروفها وحركاتها، قال الخطابي: جاء في الأثر أن عدد آي القرآن على قدر درج الجنة،

يقال للقارئ: ارق في الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى على أقصى درج الجنة، ومن قرأ جزءًا منها كان رقيه في الدرج على قدر ذلك فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة. انتهى. والأثر الذي أشار إليه الخطابي رواه البيهقي عن عائشة مرفوعًا **«عدد درج الجنة عدد آي القرآن، فمن دخل الجنة من أهل القرآن فليس فوقه درجة»**.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«يجيء القرآن يوم القيامة فيقول: يارب حَلِّه، فَيُلْبَسُ تَاجَ الكرامة، ثم يقول: يارب زِدْه، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الكرامة، ثم يقول: يارب ارض عنه، فيقال له: اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة»** رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

وعن تميم الداري عن النبي ﷺ قال: **«من قرأ عشر آيات في ليلة كتب له قنطار، والقنطار خير من الدنيا وما فيها، فإذا كان يوم القيامة يقول ربك عز وجل: اقرأ وارق بكل آية درجة، فيقرأ آية ويصعد درجة، حتى ينجز ما معه من القرآن ثم يقال له: اقبض فيقبض، ثم يقال له: أتدري ماذا في يديك؟ فإذا في يده اليمنى الخلد، وفي يده اليسرى النعيم»** أخرجه الطبراني.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: «من

قرأ القرآن فرأى أن أحدًا أُعْطِيَ أَفضلَ مما أُعْطِيَ فقد عَظَّمَ ما صَغَّرَ اللَّه، وصغر ما عظم اللَّه، وليس ينبغي لحامل القرآن أن يسفه فيمن يسفه، أو يغضب فيمن يغضب، أو يحتد فيمن يحتد، ولكن يعفو ويصفح لفضل القرآن» أخرجه الطبراني.

وكان الإمام أبو عبد الرحمن السلمي إذا ختم عليه الخاتم القرآن أجلسه بين يديه، ووضع يده على رأسه وقال له: يا هذا اتق اللَّه فما أعرف أحدًا خيرًا منك إن عملت بما علمت.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، أن أُسَيْدَ بن حُضَيْرٍ بينما هو ليلة يقرأ في مِرْبَدِهِ إذ جالت فرسه فقرأ، ثم جالت أخرى فقرأ، ثم جالت أيضًا قال أُسَيْدٌ: فخشيت أن تطأ يحيى، فقمت إليها فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السُّرُج عرجت في الجو حتى ما أراها، فغدوت على رسول اللَّه ﷺ، فقلت: يا رسول اللَّه: بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي، فقال ﷺ: **«اقرأ ابن حضير»** فقرأت ثم جالت أيضًا فقال رسول اللَّه: **«اقرأ ابن حضير»** فقرأت ثم جالت أيضا فقال رسول اللَّه: **«اقرأ ابن حضير»** فانصرفت وكان يحيى قريبًا منها خشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها! فقال رسول اللَّه ﷺ: **«تلك الملائكة**

كانت تستمع لك ولو قَرَأْتَ لأَصْبَحَتْ يراها الناس ما تستتر منهم» رواه البخاري ومسلم.

وقوله: «مِربَدي» هو بكسر الميم وفتح الباء الموضع الذي تربط فيه الإبل.

وقوله: جالت فرسه أي وَثَبَتْ واضطربَتْ، والظلة السحابة، والسرج المصابيح.

وقول رسول اللّه ﷺ: **«اقرأ ابن حضير»** معناه: كان ينبغي أن تستمر على قراءتك لتستمر لك البركة بنزول الملائكة.

قال النووي: وفي هذا الحديث جواز رؤية آحاد الأمة للملائكة، وفيه فضيلة القراءة، وأنها سبب نزول الرحمة، وحضور الملائكة، وفيه فضيلة استماع القرآن الكريم. انتهى.

وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«مَثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأُتْرُجَّةِ ريحها طيب، وطعمها طيب. ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مُر. ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مُر»** رواه البخاري ومسلم.

قال النووي: وفي الحديث فضيلة حافظ القرآن، واستحباب

ضرب الأمثال لإيضاح المقاصد، وفيه الحض على حفظ القرآن، ودوام تلاوته، والعمل بما فيه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وَيَتَتَعْتَعُ فيه وهو عليه شاق له أجران»** رواه مسلم.

والماهر هو الحاذق الكامل في الحفظ الذي لا يتوقف، ولا تشق عليه القراءة لجودة حفظه وإتقانه.

والسفرة الملائكة، جمع سافر. قال ابن الأنباري: سموا بذلك لنزولهم بالوحي وما يقع به الصلاح تشبيهًا بالسفير الذي يصلح بين الرجلين. وقال ابن عرفة: سموا بذلك لأنهم يسفرون بين اللَّه وبين أنبيائه أي: ينزلون برسالات اللَّه تعالى إلى الأنبياء، وهو بمعنى الأول. وقيل: السفرة الكتبة من الملائكة ويسمى الكاتب سافرًا؛ لأنه يبين الشيء، ويقال أسفر عن الشيء بيَّنه ووضحه.

والبررة: المطيعون. قال المُهَلَّب: ومعنى كون الماهر بالقرآن مع السفرة أنه معهم في الحفظ في درجة واحدة. وقال القاضي عياض: ويحتمل أن يكون معهم في منازلهم في الآخرة، أي: يكون رفيقًا لهم فيها لاتصافه بصفتهم في حملهم

كتاب اللّه تعالى، ويحتمل أن يكون المعنى عامل بعملهم كما يقال: معي بنو فلان أي: في الرأي والمذهب، كما قال نوح عليه السلام ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:١١٨]، وجاء أن من تعلم القرآن من صغره وعمل به خلطه اللّه تعالى بلحمه ودمه وكتبه عنده من السفرة الكرام البررة. انتهى.

وقوله: ويتتعتع فيه. قال القرطبي: التتعتع التردد في الكلام عيًا وصعوبة. فالمعنى يتردد فيه لقلة حفظه، والأجران أحدهما في تلاوته، والثاني في تعبه ومشقته، ودرجات الماهر فوق ذلك كله؛ لأنه قد كان القرآن متتعتًا عليه ثم ترقى عن ذلك إلى أن شبه بالملائكة.

قال القاضي عياض: وليس المعنى أنه أكثر أجرًا من الماهر، بل الماهر أكثر؛ لأنه مع السفرة، وله أجور كثيرة، وكيف يلتحق من لم يعتن بكتاب اللّه تعالى بمن اعتنى به حتى مهر فيه. انتهى.

وعن عبد اللّه بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: **«لا حسد إلا في اثنتين، رجلٍ آتاه اللّه القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجلٍ آتاه اللّه مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»** رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: **«لا حسد إلا في اثنتين، رجل علمه القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل. ورجل آتاه اللّه مالاً فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل»** رواه البخاري.

وقوله: لا حسد إلا في اثنتين. المراد بالحسد هنا الغبطة وهي أن تتمنى مثل ما لغيرك. وآناء الليل وآناء النهار: ساعاتهما.

معنى فهو يهلكه في الحق ينفقه في الطاعات.

قال في«شرح المشكاة»: أثبت الحسد لإرادة المبالغة في تحصيل النعمتين الخطيرتين، يعني ولو حصلتا بهذا الطريق المذموم فينبغي أن يتحرى ويجتهد في تحصيلهما فكيف بالطريق المحمود لاسيما وكل واحدة من الخصلتين بلغت آية لا أمد فوقها ولو اجتمعتا في امرئ بلغ من العلياء كل مكان. انتهى.

قال ابن كثير: ومضمون هذين الحديثين أن صاحب القرآن في غبطة، وهي حسن الحال، فينبغي أن يكون شديد الاغتباط بما هو فيه، ويستحب تغبيطه بذلك يقال غبطه يغبطه بالكسر غبطًا إذا تمنى مثل ما هو فيه من النعمة، وهذا بخلاف الحسد

المذموم، وهو تمني زوال نعمة المحسود عنه سواء حصلت هذه النعمة للحاسد أم لا، وهذا مذموم شرعًا ومهلك، وهو أول معاصي إبليس حين حسد آدم على ما منحه الله تعالى من الكرامة والإعظام، والحسد الشرعي الممدوح هو تمني حال مثل حال ذلك الذي هو على حال سارة.

ولهذا قال الرسول ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين**» فذكر النعمة القاصرة، وهي تلاوة القرآن آناء الليل والنهار، والنعمة المتعدية وهي إنفاق المال بالليل والنهار كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر:٢٩].

ويدل على أن المراد بالحسد في الحديث الغبطة ما روى عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تنافس بينكم إلا في اثنتين: رجل أعطاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار، ويتبع ما فيه فيقول رجل: لو أن الله أعطاني مثل ما أعطى فلانًا فأقوم به كما يقوم به، ورجل أعطاه الله مالا فهو ينفق ويتصدق، فيقول رجل: لو أن الله أعطاني مثل ما أعطى فلانًا فأتصدق به**». انتهى.

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**خيركم من تعلَّم القرآن وعَلَّمَهُ**» رواه البخاري.

وفي هذا الحديث بيان فضل تعليم القرآن، والترغيب فيه. وقد سئل سفيان الثوري عن الرجل يغزو أحب إليك أو يقرأ القرآن؟ فقال: يقرأ القرآن؛ لأن رسول اللّه ﷺ قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلّمه**». ومكث الإمام أبو عبد الرحمن السلمي يعلم القرآن في مسجد الكوفة أربعين سنة بسبب سماعه لهذا الحديث، وكان إذا روى هذا الحديث يقول: ذلك الذي أقعدني مقعدي هذا.

قال ابن كثير: والغرض أنه ﷺ قال: «**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**» وهذه صفات المؤمنين المتبعين للرسل، وهم الكملة في أنفسهم المكمّلون لغيرهم. وذلك جمع بين النفع القاصر والمتعدي، وهذا بخلاف صفة الكفار الذين لا ينتفعون ولا يتركون أحدًا أن ينتفع، كما قال تعالى في حقهم: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [محمد:١] وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦] يعني أنهم ينهون الناس عن اتباع القرآن مع نأيهم وبعدهم عنه أيضًا، فجمعوا بين التكذيب والصد كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ [الأنعام: ١٥٧] فهذا شأن شرار الكفار، كما أن شأن الأخيار الأبرار أن يتكملوا في أنفسهم وأن يسعوا في تكميل غيرهم كما

في هذا الحديث، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] فجمع بين الدعوة إلى اللَّه سواء أكان بالأذان أم بغيره من أنواع الدعوة إلى اللَّه من تعليم القرآن والحديث والفقه وغير ذلك مما يُبتغى به وجه اللَّه تعالى، وعمل هو في نفسه صالحًا وقال قولًا صالحًا أيضًا فلا أحد أحسن حالًا من هذا. انتهى.

وعن أبي هريرة أنه قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: **«يا أبا هريرة علِّم الناس القرآن وتعلمْهُ فإنك إن مت وأنت كذلك زارت الملائكة قبرك كما يزار البيت العتيق»**.

قال القرطبي: قال العلماء: تعليم القرآن أفضل الأعمال؛ لأن فيه إعانة على الدين فهو كتلقين الكافر الشهادة ليُسْلِم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: **«إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»** رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

والجوف: القلب. والْخَرِب بفتح الخاء وكسر الراء الخراب قال الطيبي: أطلق الجوف وأريد به القلب، إطلاقًا لاسم المحل على الحالّ. وقد استعمل على حقيقته في قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤] واحتيج لذكره ليتم

التشبيه له بالبيت الخرب بجامع أن القرآن إذا كان في الجوف يكون عامرًا مزينًا بحسب قلة ما فيه وكثرته، وإذا خلا عما لابد منه من التصديق والاعتقاد الحق والتفكر في آلاء اللَّه تعالى ومحبته وصفاته يكون كالبيت الخرب الخالي عما يعمره من الأثاث والتجمل. انتهى.

وروى ابن عمر عنه ﷺ أنه قال: «**تفتح أبواب السماء لخمسة: نزول الغيث، وقراءة القرآن، ولقاء الزحف، والأذان، والدعاء**» رواه الطبراني في«الأوسط».

وعنه ﷺ قال: «**إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد**» قالوا: يا رسول اللَّه، فما جلاؤها؟ قال: «**تلاوة القرآن**» أخرجه البيهقي في«شعب الإيمان».

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله قراءة القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**»، وفي رواية زيادة «**وفضل كلام اللَّه على سائر الكلام كفضل اللَّه على خلقه**» رواه الترمذي.

قال القرطبي: فأخبر ﷺ: أن من قرأ القرآن واشتغل به عن الدعاء أعطاه اللَّه تعالى أفضل سؤال سأله أحد من خلقه انتهى.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال ﷺ: «**من شغله قراءة**

القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين» أخرجه البزار وغيره.

وروى الطبراني بسنده عن كعب الأحبار أنه قال: ثلاث من عمل بواحدة منهن دخل الجنة: رجل شهد بأسًا من بأس المسلمين فصبر حتى قتل أو فتح اللّه على المسلمين. ورجل قعد في حلقة فقرأ عليهم القرآن فحمدوا ربهم عزَّ وجل ثم دعوه سبحانه على إثر ذلك، فيقول للملائكة: علام اجتمع هؤلاء - وهو أعلم بهم، ولكن يريد أن يكونوا شهداء - فيقولون: أي رب أنت أعلم. فيقول: إني أعلم ولكن أنبئوني بعلمكم، فيقولون: يسألونك أن تدخلهم الجنة وتزحزحهم عن النار. فيقول: أشهدكم أني قد أوجبت لهم الجنة وزحزحتهم عن النار. ورجل قام من دفئه ومن فراشه ولعله أن يكون قام من عند امرأته في ليلة قرة - أي باردة - فإن كان جنبًا اغتسل، وإن لم يكن جنبًا توضأ وأحسن وضوءه فقام فقرأ ودعا ربه عز وجل، فيقول اللّه للملائكة: ما أقام عبدي من دفئه وفراشه، فيقولون: يارب خوفته عذابك، ورغبته في رحمتك وهو يستجير من عذابك ويرجو رحمتك. فيقول: أشهدكم أني قد أجرته مما يخاف، وأوجبت له ما يرجو.

قال القرطبي: ومثل هذا لا يقال من جهة الرأي فهو مرفوع وقد ثبت معناه في غير ما حديث مرفوعًا والحمد للّه. انتهى.

وعن رسول اللّه ﷺ أنه قال: **«ما تكلم العباد بكلام أحب إلى اللّه من كلامه، وما تقرب إليه المتقربون بأحب إليه من كلامه»**.

وعن عبد اللّه بن مسعود عن النبي ﷺ: **«اقرءوا القرآن فإن اللّه تعالى لا يعذب قلبًا وعى القرآن، وإن هذا القرآن مأدبة اللّه فمن دخل فيه فهو آمن، ومن أحب القرآن فليبشر»** رواه الدارمي.

قال القرطبي: يقال مأدُبة بضم الدال، ومأدَبة بفتحها، فمن قال بالضم أراد الصنيع من الطعام يصنعه الإنسان فيدعو إليه الناس لإكرامهم فشبه القرآن - وهو معقول بشيء محسوس وهو صنيع يصنعه اللّه لعباده لهم فيه خير ونفع، ومن قال بالفتح فإنه يذهب به إلى الأدب يجعله مفعلة من الأدب، ويحتج بحديثه الآخر: «إن هذا القرآن مأدبة اللّه عز وجل فتعلموا من مأدبته». انتهى.

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ: **«أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل»** أخرجه الطبراني. والمراد بأصحاب الليل: القائمون بالأسحار بالصلاة، والتهجد، والذكر، والتبتل.

وعن عبد اللّه بن عمرو عن النبي ﷺ قال: **«الصيام والقرآن**

يشفعان للعبد، يقول الصيام: منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه. ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيشفعان» أخرجه وصححه الحاكم على شرط مسلم.

وعن أبي موسى الأشعري قال: قال ﷺ: **«إن من إجلال اللَّه تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن، غير الغالي فيه، والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط»** رواه أبو داود.

والغالي فيه هو الذي يتغالى ويتنطع في تنفيذ أحكامه، ويبالغ ويسرف في العمل به، وهو في ذلك مخالف لتعليم الرسول ﷺ وهديه حيث يقول: **«إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، فإنَّ المُنْبَتَّ لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى»**، والجافي عنه هو المجانب لأحكامه والعمل بما فيه، والمقسط هو العادل.

وعن أبي ذر عن النبي ﷺ: **«لأن تغدو فتتعلم آية من كتاب اللَّه تعالى خير لك من أن تصلي مائة ركعة»** أخرجه ابن ماجه.

وعن معاذ الجهني أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«من قرأ القرآن وعمل به أُلبِس والداه تاجًا يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا، فما ظنكم بالذي عمل بهذا»** أخرجه أبو داود.

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسَول اللَّه ﷺ: **«من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله اللَّه الجنة وشفعه في**

عشرة من أهل بيته كلهم قد استوجبوا النار» أخرجه الترمذي.

وعن معاذ بن جبل أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«مَن قرأ القرآن وعمل بما فيه ومات مع الجماعة بعثه اللَّه يوم القيامة مع السفرة»** رواه أبو نصر في الإبانة.

ويؤخذ من هذه الأحاديث أن الثواب الذي ادخره اللَّه تعالى لقراء القرآن لا يحصل عليه منهم إلا من عمل بالقرآن، فأتمر بأوامره وانتهى عن نواهيه. ولذلك روى أبو سعيد الخدري أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«إنَّ من شر الناس رجلاً فاسقًا يقرأ القرآن لا يرعوي إلى شيء منه»** رواه النسائي.

وقال ابن مسعود: ليس حفظ القرآن بحفظ حروفه ولكن بإقامة حدوده.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمعت رسول اللَّه ﷺ قال: **«يأتي القرآن إلى الذي حمله فأطاعه في صورة حسنة فيأخذ بيده حتى يأتي ربه عز وجل فيصير خصيمًا من دونه فيقول: أي ربي حفظته إياي، فخير حامل، حفظ حدودي، وعمل بفرائضي، وعمل بطاعتي، واجتنب معصيتي، فلا يزال يقذف دونه بالحجج حتى يقال له: فشأنك به، قال: فيأخذ بيده لا يدعه حتى يسقيه بكأس الخلد، ويتوجه تاج**

الملك. قال: **ويأتي صاحبه الذي حمله فأضاعه فيأخذ بيده حتى يأتي ربه عز وجل فيصير له خصيمًا فيقول: يارب حملته إياي فشر حامل، ضيع حدودي، وترك فرائضي، واجتنب طاعتي، وعمل بمعصيتي، فلا يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال له: فشأنك به، فيأخذ بيده فلا يدعه حتى يكبه على منخره في نار جهنم»** أخرجه البزار وغيره.

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **«القرآن شافع مُشَفع وماحِلٌ مُصَدَّق مَن جعله أَمَامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقَه إلى النار»** أخرجه ابن حبان. ومعنى ماحل: مجادل. وفي حديث مسلم **«والقرآن حجة لك أو عليك»**. يعني إن عملت به كان حجة لك وإن لم تعمل به كان حجة عليك.

وعنه ﷺ قال: **«من قرأ القرآن يقوم به آناء الليل والنهار يحل حلاله ويحرم حرامه حرم الله لحمه ودمه على النار وجعله رفيق السفرة الكرام البررة حتى إذا كان يوم القيامة كان القرآن له حجة»**.



فضل استماع القرآن الكريم

وكما أن لتالي القرآن هذا الثواب الحسن، والفضل العظيم الذي دلت عليه الأحاديث والآثار السابقة فإن لمستمعه مثل ما لتاليه من حسن المثوبة، وكريم المنزلة، وعظيم الجزاء.

قال الإمام الليث بن سعد: ما الرحمة إلى أحد بأسرع منها إلى مستمع القرآن لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

وهذا أمر من اللَّه تعالى بوجوب استماع القرآن، والإنصات إليه[1]. ولاشك أن أدب الإيمان يقتضي الاستماع لكلام اللَّه تعالى حين يتلى، ويقتضى الأنصات إليه حين يسمع، ليؤثر تأثيره في القلوب، وليقودها إلى الطاعة والتقوى فتنال رضوان اللَّه تعالى ومغفرته ورحمته.

ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢] ومعنى وجلت قلوبهم خافت واضطربت فحملها هذا الاضطراب

---

(١) الاستماع أبلغ من السماع لأنه؛ لا يكون إلا بقصد وتوجيه السمع إلى الكلام لإدراكه. أما السمع فقد يحصل من غير قصد. والإنصات السكوت لأجل الاستماع لا يشغل بغيره.

على العمل بما يؤمنها ويطمئنها. ويقول تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] ومعنى متشابهًا: متماثلًا في الإتقان. ومعنى مثاني: تثنى قصصه ومواعظه، وتكرار أوامره ونواهيه في صور مختلفة إذا سمعها المؤمنون تقشعر من وعيده بالعذاب جلودهم؛ لأنهم يخشون ربهم، وإذا سمعوا آيات الرحمة والمغفرة تلين جلودهم وتسكن قلوبهم.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن استمع إلى آية من كتاب الله تعالى كتبت له حسنة مضاعفة، ومن تلا آية من كتاب الله كانت له نورًا يوم القيامة»** أخرجه الإمام أحمد.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«اقرأ عَلَيَّ»** قلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: **«نعم إني أحب أن أسمعه من غيري»** فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال: **«حسبك الآن»**، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان. رواه البخاري ومسلم.

وقوله: حسبك الآن، أي: كافيك الآن. ومعنى تذرفان: تسيل دموعهما.

قال الإمام النووي: وفي هذا الحديث فوائد، منها: استحباب استماع القراءة والإصغاء لها، والبكاء عندها، وتدبرها، واستحباب طلب القراءة من غيره ليستمع له، وهو أبلغ في التفهم والتدبر من قراءته بنفسه، وفيه تواضع أهل العلم والفضل ولو مع أتباعهم. انتهى.

وسيأتي لهذا الفصل مزيد بسط عند الكلام عَلَى آداب المستمع للقرآن الكريم. وهو الفصل الأخير إن شاء اللَّه.

* * *

الحث على استذكار القرآن وتعاهده والتحذير من تركه بعد حفظه

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل الْمُعَقَّلَة إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت**» رواه البخاري ومسلم.

والمعقلة: المشدودة بالعقال وهو الحبل.

وعن ابن مسعود قال قال ﷺ: «**بئسما لأحدكم يقول نَسِيتُ آية كَيتَ وكَيتَ، بل هو نُسِّيَ، استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيًا من صدور الرجال من النَّعَمِ بِعُقُلِهَا**» رواه البخاري ومسلم.

وبئس كلمة ذم، وكيت وكيت يعبر بهما عن الجمل الكثيرة والكلام الطويل.

قال القاضي عياض: أولى ما يتأول عليه الحديث أن معناه ذم الحال لا ذم القول، أي: بئست الحالة، حالة من حفظ القرآن ثم غفل عنه حتى نسيه. وقوله: استذكروا القرآن أي واظبوا على تلاوته، واطلبوا من أنفسكم المذاكرة به. وقوله: فلهو أشد تفصيًا أي تفلتًا وتخلصًا. والنعم بفتح النون المشددة وفتح العين: الإبل، والعُقُل بضم العين والقاف جمع عقال وهو الحبل الذي يشد به البعير. انتهى.

وعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: **«تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيًا من الإبل في عقالها»** رواه البخاري ومسلم.

ومعنى تعاهدوا القرآن واظبوا عليه بالحفظ والترداد. قال الطيبي: شبه القرآن الكريم وكونه محفوظًا عَلَى ظهر القلب بالإبل النافرة، وقد عقل عليها بالحبل، وليس بين القرآن والبشر مناسبة قريبة؛ لأنه حادث وهو قديم والله تعالى بلطفه منحه هذه النعمة العظيمة، فينبغي له أن يتعاهده بالحفظ والمواظبة عليه. انتهى.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: **«فإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره وإلاَّ نسيه»** أخرجه مسلم.

وعن ابن عمر قال: قال ﷺ: **«مثل القرآن إذا عاهد عليه صاحبه فقرأه بالليل والنهار كمثل رجل له إبل، فإن عقلها حفظها، وإن أطلق عقالها ذهبت، فكذلكَ صاحب القرآن»** أخرجه الإمام أحمد.

قال ابن كثير: ومضمون هذه الأحاديث كلها الترغيب في كثرة تلاوة القرآن الكريم، واستذكاره وتعاهده، لئلا يعرضه حافظه للنسيان، فإنَّ ذلكَ خطأ كبير، نسأل الله تعالى العافية منه. انتهى

وعن أنس بن مالك قال: قال ﷺ: «**عرضت عَلَيَّ أجور أُمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت عَلَيَّ ذنوب أمتي فلم أَرَ ذنبًا أعظمُ من سورة من القرآن أوتيها الرجل ثم نسيها**» أخرجه الترمذي. وصرح النووي في الروضة بأنَّ نسيان القرآن كبيرة لهذا الحديث. انتهى

وروى سعد بن عبادة عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**من تعلم القرآن ثم نسيه لقي اللَّه يومَ القيامةِ أجذم**» أخرجه أبو داود. ومعنى أجذم: قال العلماء: منقطع الحجة.

وكان سفيانُ بن عيينة يذهب إلى أنَّ النسيان الذي يستحق صاحبه الذم، ويضاف إليهِ الإثم هو التركُ للعملِ بهِ، وأنَّ النسيان في لسان العربِ الترك، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [الأنعام: ٤٤] أي تركوا. وقال: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] أي تركوا طاعة اللَّه فترك رحمتهم. قال سفيان: وليس من حفظ القرآن أو شيئًا منه بناس إذا كان يحل حلاله ويحرّم حرامه. انتهى

قال القرطبي في «التذكار»: وهذا تأويلٌ حسن جدًا وله وجه، إلَّا أنَّ اللَّه تعالى أثنى على من كان دأبه قراءة القرآن فقال: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] فتهجد به: أي بالقرآن. وقال: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ

وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦] وسمى القرآن ذكرًا، وتوعد من أعرض عنه ومن تعلمه ثم نسيه قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾ [طه: ٩٩ - ١٠١]. وقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦].

فهذا ظاهره تلاوة القرآن، وكذلك ظاهر الحديث، وإذا كان نسيان القرآن من الذنوب فلا احتراز منه إلَّا بإدمان قراءته.

وقال ﷺ: «**يا أهلَ القرآن لا توسدوا القرآن واتلوه حق تلاوتهِ آناء الليل وآناء النهار وتغنوه وتقنوه واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون**». قال أبو عبيدة: تغنوه اجعلوه غناكم من الفقر. ولا تعدوا الإقلال معه فقرًا. ومعنى تقنوه: اقتنوه كماتقتنون الأموال. انتهى

قال ابن كثير: وقد أدخل بعض المفسرين هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ الآيات. وهذا الذي قاله هذا -وإن لم يكن هو المراد جميعه- فهو بعضه، فإنَّ الإعراض

عن تلاوة القرآن، وتعريضه للنسيان، وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير وتفريط شديد نعوذ بالله منه، ولهذا قال ﷺ : «**تعاهدوا القرآن، استذكروا القرآن فإنَّه أشدُّ تفصيًا من صدور الرجال من النعم**» والتفصي التخلص، يقال تفصى فلان من البلية إذا تخلص منها، ومنها تفصى النوى من التمرة إذا تخلص منها، أي أنَّ القرآن أشدُّ تفلتًا من الصدور من النعم إذا أرسلت من غير عقال.

وعن الضحاك بن مزاحم قال: ما من أحد تعلم القرآن فنسيه إلَّا بذنب أحدثه لأنَّ اللَّه تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠] ونسيانُ القرآن من أعظم المصائب.

ولهذا قال إسحاقُ بن راهويه: يكره للرجل أن تمر عليهِ أربعون يومًا دون أن ينتهي فيه من قراءة القرآن كله.

* * *

كيفية تلاوة القرآن الكريم

اتفق علماء القراءة، وأئمة الأداء على أنَّ لتلاوة القرآن الكريم كيفية مخصوصة يجبُ على القارىء شرعًا أن يلاحظها أثناء تلاوته ليحرز الأجرَ الذي وعد اللّه به القارئين، فإذا أهملها أو قصّر في مراعاتها كان من الآثمين.

وهذه الكيفية هي تجويد كلماته، وتقويم حروفه، وتحسين أدائه، بإعطاء كل حرف حقه، ومنحه مستحقه، من الإجادة والإتقان، والترتيل والإحسان، ولا يكون ذلك إلّا بتصحيح إخراج كل حرف من مخرجه الأصلي المختص به تصحيحًا يمتازُ به عن مقاربه، وتوفية كل حرف صفته المعروفة به توفية تخرجه عن مجانسه، مع تيسير النطق به على حال صفتهِ، وكمال هيئته من غير تشدق ولا إسراف، ولا تصنع ولا اعتساف، ومع العناية بإبانة الحروف، وتمييز بعضها من بعض، وإظهار التشديدات وتوفية الغنات، وإتمام الحركات، ومع تفخيم ما يجب تفخيمه، وترقيق ما يجب ترقيقه، وقصر ما ينبغي قصره، ومد ما يتعين مده. ومع ملاحظة الجائز من الوقوف والممنوع منها، فيوقف على ما يصح الوقف عليه، ويوصل ما لا يصحُّ الوقف عليه، إلى غيرِ ذلك من الأحكام

والقواعد التي وضعها أئمة القرآن.

قال الإمام المحقق ابن الجزري في كتابه «النشر»: ولا شك أنَّ الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده، متعبدون بتصحيح ألفاظه، وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية العربية التي لا تجوزُ مخالفتها، ولا العدول عنها إلى غيرها. انتهى

وتلك الكيفية هي التي نزل بها القرآن الكريم، وهي المراد من الترتيل الذي أمرَ اللّه بهِ نبيه محمدًا ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

قال ابن عباس: أي بَيِّنْهُ. وقال مجاهد: تأَنَّ فيهِ، وقال الضحاك: انبِذه حرفًا حرفًا، وافصل الحرف من الحرف الذي بعده، وجاء عن علي رضي الله عنه أنه قال: الترتيل تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف. وقال بعضهم: أي تَثَبَّتْ في قراءتك وتَمَهَّلْ فيها.

ولم يقتصر سبحانه على الأمرِ بالفعل حتى أكَّده بالمصدر اهتمامًا بهِ وتعظيمًا له، ليكون ذلكَ عونًا على تدبر القرآن وتفهمه، وهكذا كانت قراءة النبي ﷺ كانت غاية في الترتيل والتؤدة، وآية في الإتقان والجود، لم تكن هَذًا ولا عجلة، بل

كانت مفسرة كلمة كلمة مُبَيَّنَة حرفًا حرفًا، وقد روى عنه زيد بن ثابت أنَّه ﷺ قال: **«إنَّ اللَّه يحبُّ أن يقرأ القرآن كما أُنزل»** أخرجه ابن خزيمة في صحيحه. وعن أم سلمة أنَّها سئلت عن قراءة الرسول ﷺ فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفًا حرفًا. أخرجه الترمذي. وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسولُ اللَّه ﷺ يقرأ السورة حتى تكون أطول من أطول منها. وسُئِلَ أنس بن مالك عن قراءة رسول اللَّه ﷺ فقال: كانت مدًّا ثم قرأ أنس: بسم اللَّه الرحمن الرحيم، يمد اللَّه، ويمد الرحمن، ويمدُّ الرحيم.

وعن أمِّ سلمةَ أنَّ رسول اللَّه ﷺ: «كان يُقَطِّعُ قراءته فيقولُ الحمدُ للَّه ربِّ العالمين، ثم يقف، الرحمن الرحيم، ثم يقف، مالك يوم الدين، وهكذا» رواه الترمذي وأبو داود.

قال القرطبي: قال علماؤنا: قول أم سلمة: كان يقطع قراءته يدخل فيه جميع ما كان يقرؤه من القرآن، وإنما ذكرت فاتحة الكتاب لتبين صفة التقطيع، أو لأنَّها أم القرآن فيغني ذكرها عن ذكر ما بعدها، فالتقطيع عام لجميع القراءة لظاهرِ الحديث. انتهى

وذكر الزهري أنَّ قراءة الرسول ﷺ: كانت آية آية. وهذا هو الأفضل وهو الوقوف على رءوس الآي وإن تعلقت بما بعدها، وذهب بعضهم إلى أنَّ الوقوف على رءوس الآي أفضل ما لم

تتعلق الآية بما بعدها فإن تعلقت بما بعدها كان الوقف على ما يتم به الكلام أفضل، ولكن اتباع هدي الرسول وسنته أولى. وممن ذكرَ ذلكَ البيهقي في شعب الإيمان ورجح الوقف على رءوس الآي وإن تعلقت بما بعدها.

وقد اختلف العلماء هل الأفضل الترتيل مع قلة القراءة، أو السرعة مع كثرتها؟

فذهب فريق إلى أنَّ الترتيل والتدبر مع قلة القراءة أفضل من سرعة القراءة مع كثرتها وهذا مذهب ابن عباس وابن مسعود وغيرهما وقد احتجوا لهذا المذهب بأدلة:

الأول: أنَّ المقصود من قراءة القرآن فهمه وتدبره، والتفقه فيه والعمل به، وما تلاوته وحفظه إلَّا وسيلة إلى معانيه، فقد قال بعض السلف: نزل القرآن ليعمل بِهِ فاتخذوا تلاوته عملًا، ولهذا كان أهل القرآن هم العالمين به العاملين بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب. وأمَّا من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل به فليس من أهله وإن جود كلماتِه وأتقن حروفه.

الثاني: أن الإيمان هو أفضل الأعمال على الإطلاق، وفهم القرآن وتدبره هو الذي يثمرُ الإيمان، وأمَّا مجرد التلاوة من غير فهم ولا تدبر فيفعلها البر والفاجر، والمؤمن والمنافق. فمن

أوتي تدبرًا وفهمًا في التلاوة أفضل ممن أوتي كثرة قراءة وسرعتها بلا تدبر.

الثالث: أنَّه كان من هدي الرسول ﷺ أنَّه كان يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها، وثبت عنه أنَّه قام بآية واحدة في الليل، وأخذَ يرددها حتى الصباح. وهي: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] رواه النسائي وابن ماجه.

وقال أبو حمزة لابن عباس: إنِّي رجل سريع القراءة وربما قرأت القرآن كله مرة في الليلة، فقال له ابن عباس: لأنْ أقرأ سورة واحدة أرتلها وأتدبرها أحبُّ إليَّ من أن أفعل الذي تفعل. فإن كنت فاعلًا لابد فاقرأ قراءة تسمعها أذنك ويعيها قلبك. رواه البخاري.

وقال ابن مسعود: لَا تَهُذُّوا بالقرآن هَذَّ الشِّعر، ولَا تَنْثُرُوه نَثْرَ الدَّقَل، وقفوا عند عجائبِهِ، وحركوا بِهِ القلوب، ولا يكن همُّ أحدكم آخر السورة.

والهذُّ: الإسراعُ أي لا تسرعوا في القراءة إسراعكم بالشعر. والدَّقَل بفتح الدال والقاف: أردأ التمر. والمعنى: النهي عن عدم العناية بإتقان القراءة، بالإسراع فيها وعدم رعاية حدودها.

وقال ابن مسعود أيضًا: إذا سمعت اللّه تعالى يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فأصغ لها سمعك فإنَّه خير تؤمرُ بهِ، أو شرٌّ تنهى عنه.

وجاءه رجل فقال له: إنِّي أقرأ المُفَصَّل في ركعة. فقال: أهَذًّا كهذِّ الشِّعرِ؟.

وسُئِلَ مجاهد عن رجلين أحدهما قرأ البقرة والآخر قرأ البقرة وآل عمران في الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد. فقال: الذي قرأ البقرة وحدها أفضل.

وعن محمد بن كعب القرظي أنَّه قال: لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح سورتي الزلزلة والقارعة، لا أزيد عليهما وأتردد فيهما وأتفكرُ أحبُّ إليَّ من أن أهذَّ القرآن هذًّا وأنثره نثرًا.

وعن عائشة رضي الله عنها أنَّه ذُكِرَ لها أنَّ أناسًا يقرءونَ القرآن في الليلةِ مرة أو مرتينِ فقالت: أولئكَ قوم قرءوا ولم يقرءوا، كنت أقوم مع الرسول ﷺ ليلة التمامِ فكان يقرأ البقرة وآل عمران والنساء، فلا يمرُ بآية فيها تخويفَ إلّا دعا اللّه واستعاذ، ولا يمرُّ بآية فيها استبشار إلّا دعا اللّه ورغب إليه. روه أحمد.

قال ابن كثير: وفي الحديث دليل على استحباب ترتيل القرآن والترسل فيها من غير هذرمة، ولا بسرعة مفرطة، بل بتأمل وتفكر. قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ

﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩] انتهى. والهذرمة: الإسراع في القراءة.

وقال الغزالي: إن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر فإنَّ الأعجمي الذي لايفهمُ معنى القرآن يستحب له في القراءة الترتيل والتؤدة، بل لأنَّ ذلكَ أقرب إلى توقير القرآن واحترامه، وأشد تأثيرًا في القلبِ من السرعةِ والاستعجال. انتهى

وذهب فريق منهم -ومنهم أصحاب الشافعي- إلى أنَّ كثرة القراءة أفضل واحتجوا لذلك بحديث ابن مسعود: **«من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقولُ «ألم» حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»**. أخرجه الترمذي وقد تقدم.

قالوا: ولأن عثمان بن عفان رضي الله عنه قرأ القرآن في ركعة، وذكروا آثارًا عن كثير من السلفِ في كثرةِ القراءة.

وقال العلامة ابن القيم في زاد المعاد: والصواب في المسألة أن يقال: إن ثواب قراءة الترتيل والتدبر أجل وأرفع قدرًا، وثواب كثرة القراءة أكثر عددًا. فالأول كمن تصدق بجوهرة عظيمة جدًا أو عتق عبدًا قيمته نفيسة جدًا. والثاني كما تصدق بعدد كثير من الدراهم، أو أعتق عددًا من العبيد قيمتهم رخيصة. انتهى

إنزال القرآن على سبعة أحرف وما حكمةُ ذلك

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «**أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف**» رواه البخاري ومسلم.

وعن أُبيّ بن كعب أنَّ النبي ﷺ كان عند أضاة[1] بني غفار، فأتاهُ جبريل عليه السلام فقال: إنَّ اللَّه يأمركَ أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال: «**أسأل اللَّه معافاتَهُ ومغفرتَهُ وإنَّ أمَّتي لا تطيق ذلك**»، ثم أتاه الثانية فقال: إنَّ اللَّه يأمركَ أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين، فقال: «**أسأل اللَّه معافاته ومغفرته وإنَّ أمتي لا تطيق ذلك**»، ثم جاءه الثالثة فقال: إنَّ اللَّه يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: «**أسأل اللَّه معافاته ومغفرته وإنَّ أمتي لا تطيق ذلك**»، ثم جاءه الرابعة فقال: إنَّ اللَّه يأمركَ أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأَيُّمَا حرفٍ قرءوا عليه فقد أصابوا. رواه مسلم.

وعن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: لقي رسول اللَّه ﷺ جبريل

---

(١) الأضاة بفتح الهمزة مستنقع الماء كالغدير وكان بموضع من المدينة المنورة وينسب إلى بني غفار؛ لأنهم نزلوا عنده.

فقال: «**يا جبريل إنّي بُعثتُ إلى أمة أميين، فيهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتابًا قط**». قال يا محمد: إنَّ القرآن أنزل على سبعة أحرف». رواهُ الترمذي وقال: حسن صحيح.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعتُ هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول اللّه ﷺ فاستمعتُ لقراءتهِ فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول اللّه ﷺ فكدت أساوره في الصلاة فتصبرتُ حتى سلَّمَ فَلَبَّبْتُه بردائهِ فقلتُ: من أقرأك هذه السورة التي سمعتُكَ تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول اللّه ﷺ، قلتُ - أي عمر-: كذبت فإن رسول اللّه ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقتُ بهِ أقوده إلى رسول اللّه فقلتُ: إنّي سمعتُ هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تُقرئنيها، فقال رسول اللّه ﷺ: «**اقرأ يا هشام**» فقرأ عليهِ القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول اللّه ﷺ: «**كذلك أنزلت**» ثم قال: «**اقرأ يا عمر**» فقرأت القراءة التي أقرأني فقال ﷺ: «**كذلك أنزلت، إنَّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه**» رواه البخاري ومسلم.

وقوله في الحديث فكدت أساوره معناه: أواثبه وأقاتله. وقوله فلببّته برادئه بتشديد الباء الأولى: أي جمعتُ عليه رداءه عند لَبّته.

وقوله فاقرءوا ما تيسر منه: أي من الأحرف المنزل بها.

وعن أُبيّ بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كنتُ في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه. ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلمَّا قضينا الصلاة دخلنا جميعًا على رسول اللّه فقلتُ: إنَّ هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول اللّه ﷺ فقرآ، فحسّن النبي ﷺ شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية فلمَّا رأى رسول اللّه ما قد غشيني ضرب في صدري، فَفِضْتُ عرقًا، وكأنَّما أنظرُ إلى اللّه عز وجل فَرَقًا. فقال لي: «**يا أُبيّ أُرْسِلَ إليَّ أن اقرأ القرآن على حرف فرددتُ إليهِ أَنْ هوّن على أمتي، فردّ إليّ الثانية اقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هوّنْ على أمتي، فردَّ إلي الثالثة اقرأه علي سبعة أحرف، فلك بكل رَدَّةٍ رَدَدْ تُكَهَا مسألة تسألنيها فقلتُ: اللَّهم اغفر لأمتي، اللَّهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي الخلق كلهم حتى إبراهيم**». رواه مسلم.

قوله: فحسن النبي شأنهما أي صوّب كلا منهما في قراءتهِ. ولذلكَ ورد في بعض الروايات أنَّه قال لكل منها: أصبت. وفي أخرى: أحسنت.

وقوله: فسقط في نفسي إلخ، قال القرطبي: أصابته نزغة من

الشيطان ليشوش عليه حاله، ويكدر عليه وقته، ولما رآى الرسول ﷺ ما أصابه من هذا الخاطر ضربه في صدرِه فانشرح صدره، وتنور باطنه حتى آل به الكشف وشرح الصدر إلى حالة المعاينة، ولما ظهر له قبح ذلك الخاطر خاف من اللّه وفاض بالعرق استحياءً منه تعالى فكان هذا الخاطرُ من قبيل ما قال فيه الرسول ﷺ حين سألوهُ إنَّا نجدُ في أنفسنا ما يتعاظمُ أحدنا أن يتكلم به قال: **أوقد وجدتموه؟** قالوا: نعم. قال: **ذلك صريح الإيمان**. انتهى

وقوله: وكأنَّما أنظرُ إلى اللّه فَرَقًا. الفرق بفتح الفاء والراء: الخوف والفزع.

وقد اختلفَ العلماء في المراد بالأحرف السبعة اختلافًا كثيرًا، وذهبوا فيه مذاهب شتى، والذي نختاره من بين هذه المذاهب هو ما ذهبَ إليه الإمام أبو الفضل الرازي في كتابه «اللوائح» وهو أنَّ المراد بهذه الأحرف الأوجهُ التي يقعُ بها التغايرُ والاختلاف.

والأوجه التي يقع بها التغاير والاختلاف لا تخرج عن سبعة:

الأول: اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ

رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨، المعارج: ٣٢] قرئ لأمانتهم، بالإفراد والجمع. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ [غافر: ٥٢] قرئ ينفع بياء التذكير وتاء التأنيث.

الثاني: اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبا: ١٩] قرئ ربنا بفتح الباء على أنَّه منادى، وباعد بكسرِ العينِ وإسكان الدال على أنَّه فعل أمر أو دعاء. وقرئ برفع باء ربنا على أنَّه مبتدأ وباعد بفتح العين والدال على أنَّه فعل ماض والجملة خبر المبتدأ.

الثالث: اختلاف وجوه الإعراب. مثل قوله تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣] قرئ بنصب الراء ورفعها.

الرابع: الاختلاف بالنقص والزيادة. مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ في سورة يس [آية: ٣٥]، قرئ عملته بحذف الهاء وإثباتها. ومثل: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ في سورة براءة [آية: ١٠٠] قرئ بزيادة مِن.

الخامس: الاختلاف بالتقديم والتأخير، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟﴾ في آل عمران [آية: ١٩٥] قرئ بتقديم قاتلوا على قتلوا، وقرئ بالعكس.

السادس: الاختلاف بالإبدال مثل قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ

﴿إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] قرئ بالزاي المعجمة والراء المهملة. ومثل: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بالزخرف [آية: ١٩] قرئ عند الرحمن. ومثل: ﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ [الحجرات: ٦] قرئ فتثبتوا.

السابع: الاختلاف في اللَّهجات كالفتحِ والإمالة، والإدغام والإظهار، والتفخيم والترقيق، والتسهيل والتحقيق، والإبدال إلى غير ذلك من اللَّهجات التي اختلفت فيها قبائل العرب.

ويؤخذ من الأحاديث السابقة أمور:

الأول: أن جميع القراءات متساوية في أنَّها كلها حق وصواب فمن قرأ بأية قراءة منها فهو مصيب، ويؤخذ هذا من قوله: «**فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا**» ومن قوله: فحسن الرسول شأنهما. ويؤخذُ أيضًا من عدمِ موافقة الرسول لعمر **وأُبيٍّ** على مخالفةِ معارضيهم، ومن دفعه ﷺ في صدر أُبيٍّ حين استصعبَ عليه إقرار هذا الاختلاف، ولا ريبَ أنَّ ذلكَ كله يدل دلالة واضحة على إباحة القراءة بكل حرف لكل أحد.

الأمرُ الثاني: أنَّ القراءات كلها على اختلافها كلام اللَّه تعالى، لا دخلَ للبشرِ فيها بل كلها نازلة من عنده، مأخوذة بالتلقي عن رسول اللَّه ﷺ.

ويدل على ذلك أنَّ الأحاديث الماضية تفيدُ أنَّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا يرجعون فيما يقرءون إلى النبي ﷺ ، يأخذونَ عنه، ويتلقون منه كل حرف، يدل على ذلك قوله ﷺ في قراءة كل من المختلفين «**كذلك أنزلت**» وقول المخالف لصاحبه «أقرأنيها رسول اللَّه ﷺ » يضاف إلى ذلك أنَّه لو صحَّ لأحد أن يغير ما شاء من القرآن بمرادفه، أو غير مرادفه، ويقرأ حسب هواه لبطلت قرآنية القرآن، وأنَّه كلام اللَّه تعالى ولذهب الإعجاز، ولما تحقق قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

الأمرُ الثالث: أنَّه لا يجوزُ للمسلمين أن يجعلوا اختلاف القراءات مثار نزاع وجدل. ولا سبب تشكيك وتكذيب وتردد لأنَّ نزول القرآن على هذه الأوجه المختلفة إنما كان لحكمة التهوين على الأمة، والرحمة بها، فلا ينبغي أن تجعل من اليسر عسرًا، ومن الرحمةِ نقمة، ويؤخذُ هذا من قوله ﷺ كما في بعض الروايات للمختلفين: «**فلا تماروا في القرآن، فإنَّ المراء فيه كفر**»، ومن تغيّر وجهه عليه الصلاة والسلام عند اختلافهم مع قوله لبعضهم: «**إنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف**» ومن ضربه في صدر أبيّ رضي اللَّه تعالى عنه.

وأمَّا الحكمة في إنزال القرآن على هذه الأوجه المختلفة فهي

أنَّ العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة ولهجاتهم متباينة، ويتعذرُ على الواحد منهم أن ينتقل من لغته التي درج عليها، ومرن لسانه على التخاطب لها منذ نعومة أظفارِه، وصارت هذه اللغةُ طبيعة من طبائعه وسجية من سجاياه، واختلطت بلحمه ودمه بحيث لا يمكنه التفصي عنها، ولا العدول إلى غيرها ولو بطريق التعليم والعلاج خصوصًا الشيخ والمرأة.

فلو كلفهم اللَّه تعالى العدول عن لغتهم، والانتقال عن ألسنتهم لشق ذلك عليهم غاية المشقة، ولكان ذلك من قبيل التكليف بما لا يدخل تحت طاقة الإنسان البشرية وقدرتهِ الفطرية، فاقتضت رحمة اللَّه تعالى بهذه الأمة أن يخفف عليها، وأن ييسر لها حفظ كتابها وتلاوة دستورها كما يسر لها أمر دينها، وأن يحقق لها أمنية نبيها حين أتاه جبريل فقال له: «إنَّ اللَّه يأمركَ أن تقرأ أمتك القرآن على حرف. فقال: **«أسأل اللَّه معافاته ومعونته فإنَّ أمتي لا تطيق ذلك»**، ولم يزل رسول اللَّه يردد المسألة، ويلحف في الرجاء حتى أذن اللَّه له أن يقرئ أمته القرآن على سبعة أحرف كما سبق ذلك في حديث مسلم، فكان ﷺ يقرئ كل قبيلة بما يوافق لغتها، ويلائم لسانها.

ومن حكم إنزال القرآن على هذه الأوجه أيضًا الجمعُ بين

حكمين مختلفين بمجموع القراءتين كقوله تعالى: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] قرئ يَطْهُرن بالتخفيف - أي بإسكان الطاء - وضم الهاء، وقرئ بفتح الطاء والهاء مشددتين، ولا يخفى أن قراءة التشديد تفيد المبالغة في طهر النساء من الحيض؛ لأنَّ زيادة البناء تدل على زيادة المعنى، ويستفاد من مجموع القراءتين أمران:

الأول: أنَّ الحائض لا يقربها زوجها حتى يحصل أصل الطهر وذلك بانقطاع الحيض.

والثاني: أنّه لا يقربها إلّا إذا بالغت في الطهرِ وذلك بالاغتسال فلابد حينئذ من الطهرين معًا في جوازِ مباشرةِ المرأة: انقطاع الدمِ، والاغتسال، وهذا مذهب الشافعي ومن حذا حذوه.

ومنها الدلالة على حكمينِ شرعيينِ ولكن في حالتين مختلفتين كقوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦] قرئ بنصب اللام وجرها في أرجلكم فالنصب يفيد غسل الرجلين لأنَّ العطف حينئذ يكون على لفظ وجوهكم المنصوب وهو واجب الغسل فيكون المعطوف مثله في وجوب الغسل، والجر يفيد طلب مسحهما لأنَّ العطف حينئذ يكون على لفظ رءوسكم

المجرور وهو ممسوح، وقد بيّن الرسول ﷺ أنَّ المسح يكون للابسي الخف وأنَّ الغسل يجب على من لا يلبس الخف، إلى غير ذلك من الحكم والفوائد.

قال بعض المحققين: والخلاصة أن تنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات، وذلك ضرب من البلاغة، ونوع من أنواع الإعجاز يضاف إلى ذلك ما في تنوع القراءات من البراهين الدامغة والأدلة الصادقة على أنَّ القرآن كلام اللّه، وعلى صدق من جاء بِهِ من عند اللّه وهو رسول اللّه ﷺ فإنَّ الاختلاف في أنواع القراءات مع كثرتِه لا يؤدي إلى تناقض وتضارب، ولا إلى تهافت وتخاذل، بل القرآن كله على تنوع قراءاته يصدق بعضه بعضًا، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد في علو الأسلوب والتعبير، وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم، ولا شك أن ذلكَ يفيدُ تعدد الإعجاز بتعدد الأوجه والقراءات.

ومعنى هذا أنَّ القرآن يعجز إذا قرئ بهذه القراءة ويعجز إذا قرِئ بهذه القراءة أيضًا وهكذا، ومن هنا تتعدد المعجزات بتعدد القراءات، ولا ريب أن ذلك أدل على صدق الرسول لأنَّه أعظم في اشتمال القرآن على مناح جمة في الإعجاز والبيان على كل حرف ووجه وبكل لهجة ولسان. انتهى

* * *

حكم ما يفعله بعض القراء من ترك بعض الآيات أثناء التلاوة

من المعلوم أن القرآن الكريم لم ينزل على رسول اللَّه ﷺ دفعة واحدة، ولم ينزل مرتب السور والآيات، وإنما نزل منجمًا، موزعًا على الحوادث، مقسمًا على الأزمان، ثم كان جبريل عليه السلام ينزل على النبي ﷺ ويقول له: ضع هذه الآية بجانب هذه الآية. وضع هذه السورة بإزاء هذه السورة.

وكان ﷺ يأمرُ أصحابه بمراعاة ذلك الترتيب الذي أرشده إليه جبريل عليه السلام ، ولم ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى حتى كان القرآن الكريم مرتب السور والآيات على ما هو عليه الآن في المصاحف.

وقد عرضه جبريل عليه السلام على رسول اللَّه ﷺ مرتين في العام الذي توفى فيه. وقد أجمعَ العلماء سلفًا وخلفًا على أنَّ ترتيب الآيات أمر توقيفي ليس من صنع البشر، بل هو متلقى من رسول اللَّه ﷺ عن جبريل عن رب العزة جل جلاله.

وكذلك ترتيب السور، فإنّ جماهير العلماء من السلف والخلف أجمعوا على أنَّه توقيفي كترتيب الآيات.

قال ابن وهب: سمعتُ سليمان بن بلال يقول: سئل ربيعة:

لم قدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة؟ فقال: قدمتا وألف القرآن على علم ممن ألّفه. وقد أجمعوا على العلم بذلك، فهذا مما ينتهي إليه، ولا يسألُ عنه. انتهى

وقال القرطبي في «التذكار»: وذكر أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري في كتاب الرد له على من خالف عثمان: إنَّ اللّه الذي لا إله إلَّا هو تبارك وتعالى، وتقدس وتنزه عن كلّ عيب أنزل القرآن جملة إلى سماء الدنيا ثم فرقه على النبي ﷺ في عشرينَ سنة، وكانت السورة تنزل في أمر يحدث، والآية جوابًا لمستخبر يسأل، ويوقفُ جبريل النبي على موضع السورة والآية فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف، فكله عن محمد خاتم النبيين عن ربّ العالمين. فمن أخر سورة مقدمة أو قدَّم أخرى مؤخرة فهو كمن أفسد نظم الآيات، وغير الحروف والكلمات. انتهى

وقال مكي بن أبي طالب: إنَّ ترتيب الآيات والسور، ووضع البسملة في الأوائل هو من النبي ﷺ ولما لم يؤمر بذلك في أول سورة براءة تركت بلا بسملة.

وقال الإمام القشيري: والصحيح أنَّ البسملةَ لم تكتب في براءة لأنَّ جبريل ما نزل بها في هذه السورة. انتهى

وقال السيوطي: الأولى أن يقرأ على ترتيب المصحف، قال

في شرح المهذب: لأنَّ ترتيبه لحكمة فلا يتركها إلَّا فيما ورد فيه الشرع كصلاة صبح يوم الجمعة فإنَّه يقرأ فيها: «﴿آلم السجدة، وهل أتى على الإنسان﴾» فلو فرق السور بأن قرأ سورة فصلت ثم سورة الفتح، أو عكس بأن قرأ سورة الرعد، ثم قرأ سورة الأنفال جاز وترك الأفضل، وأمَّا قراءة السور من آخرها إلى أولها فمتفق على منعه لأنه يذهب بعض نوع الإعجاز ويزيلُ حكمة الترتيب. وقد أخرج الطبراني بسند جيد عن ابن مسعود أنَّه سئل عن رجل يقرأ القرآن منكوسًا. فقال: ذلك منكوس القلب، قال أبو عبيدة: فأمَّا من ابتدأ القراءة وهو يريدُ التنقل من آية إلى آية وترك التأليف لآي القرآن فإنَّما يفعله من لا علم له لأنَّ اللَّه لو شاء لأنزله على ذلكَ. انتهى

ونقل القاضي أبو بكر الإجماع على عدم جواز قراءة آية آية من كل سورة. انتهى.

ولهذا الترتيب حكم بالغة، وأسرار سامية تكفَّل بها علماء المسلمين بكشفها وبيانها. وكان رسول اللَّه ﷺ وصحابته والتابعون وأتباعهم وعلماء الإسلام في سائر الأعصار والأمصار يقرءون القرآن الكريم على هذا الترتيب البديع، والتنسيق المعجز، الذي كان -ولا يزال- له أكبر الأثر في قلوب المسلمين.

ولكن مما يؤسف له أن قراء القرآن الكريم في هذا العصر -إلَّا النذر اليسير- قد ابتدعوا في قراءتهم بدعة سيئة وطريقة مقيتة، ينكرها الدين ويأباها الشرعُ وينفرُ منها قلب المؤمن المفعم بحب القرآن وتقديسه، الغيور على صيانته من عبث العابثين وهذيان اللاعبين، تلك الطريقة القبيحة المستهجنة، والبدعة الضالة المحدثة هي: أن القارئ يخالف الترتيب الذي أنزل اللّٰه القرآن عليه، لذلك يبدأ قراءته بسورة معينة أو جزء مخصوص من القرآن الكريم ولكنه لا يصل الآيات بعضها ببعض، بل ينتقي آيات معينة على مزاجه الخاص، ويترك في البين آيات أخرى لا توافق مزاجه، ولا تلائم هواه، وقد يعمد في قراءته إلى الاقتصار على آيات الوعد والبشارة، دون آيات الوعيد والنذارة. وقد صرح البعض -غفر اللّٰه له- بأنَّه إنما ترك آيات الزجر والإنذار رعاية لشعور السامعين وإحساسهم، وهو في ذلكَ جد خاطئ فإنَّ المولى جلت قدرته الحكيم في صنعه العليم بخفايا النفوس وهواجس القلوب قد خلق عباده متفاوتين في الاستعداد، متباينين في الفطرِ والغرائز، فمنهم من يكون علاجه في سماع آيات الوعدِ والتبشير، ومنهم من يكونُ دواؤه في سماع آيات التهديد والوعيد، فاللّٰه تعالى يؤدب عباده على اختلاف استعداداتهم وتباين طبائعهم.

وقد جمعَ اللَّه تعالى في آيات كثيرة بين التبشير والتحذير مثل: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ [غافر: ٣] ومثل: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

وبين أن مهمة الرسول الأعظم هي التبشير والتحذير معًا. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ﴾ [البقرة: ١١٩] فالقارئ الذي يقتصر في قراءتِه على آيات الوعد والتبشير كأنَّه يستدركُ على الخالق، ويعقب عليه، وكأنَّه يدعي أنَّه أكثرُ أدبًا وأشدُّ رعاية لشعور السامعين من القرآن الكريم، وكأنِّي به وهو يزعم أنَّ عنده من الرحمةِ بالخلقِ والإشفاق عليهم ماليس عند أرحم الراحمين، وليس عند المبعوث رحمة للعالمين.

إنَّ هذه الطريقة تذهب بناحية هامة من نواحي إعجاز القرآن الكريم، وهي إحكام نسجهِ، وتناسق نظمه، وتعانق جمله وكلمه، والعلاقة الكاملة بين سوره وآيه بحيث إنَّ جميع آياتِه بمثابة الحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفها.

ثم هي في الوقت نفسه تشوش على السامع وتوقعه في حيرة ولبس، وتحول دون فهمه لكتاب اللَّه وتدبره، والانتفاع بهديه ورشاده.

وذلك أنَّ بين آي القرآن -كما قلنا- من وثيق الصلة، ووشيج التناسق، وكمال الارتباط ما لا يكاد يوجد في أي كلام غير كلام اللَّه تعالى، وقراءة بعض الآي وترك بعضها يفكك هذه الصلة، وينقض هذا التناسق، ويمزق هذا الارتباط، فتكون النتيجة الحتمية لذلك التشويش على القارئ، وبلبلة فكرِه، وتشتت فهمه.

ثم قد يكون فهم الآية متوقفًا على سابقها ولاحقها من الآيات، فإذا قفز القارئ، وتركَ قراءة السابق أو اللاحق، فلاشكَّ أنَّ ذلكَ يجعلُ السامع حائر الذهنِ، عقيم الفهم، بعيدًا عن الصواب في إدراك المعنى المراد.

لذلكَ نهى الشارع عن اتباع هذه الطريقة وأمرَ أن يقرأ القرآن بترتيب اللَّه لا بترتيب عبادِه. قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وأخرج أبو عبيد عن سعيد بن المسيب أنَّ رسول اللَّه ﷺ مر ببلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة فقال له: **«اقرأ السورة على وجهها»** وفي رواية: **«إذا قرأت سورة فأنفذها كما أنزلها اللَّه تعالى ولا تترك من آياتها شيئًا»**.

قال أبو عبيد: الأمرُ عندنا على كراهة قراءة الآياتِ المختلفة، كما أنكرَ رسول اللَّه ﷺ على بلال، وكما أنكرَ ابن

سيرين، فمن ابتدأ القراءة وهو يريدُ التنقل من آية إلى آية وترك التأليف لآي القرآن فإنَّما يفعله من لا علم له لأنَّ اللَّه تعالى لو شاء لأنزله كذلكَ. انتهى

وقد نقل القاضي أبو بكر الإجماع على عدمِ جوازِ قراءة آية آية من كل سورة.

وقال ﷺ : «اقرءوا القرآن كما علمتم» وقال ابن سيرين: تأليف اللَّه خير من تأليفكم. وقال ابن سيرين أيضًا حينما سئل عن الرجل يقرأ من السورة آيتين ثم يدعها ويأخذُ في أخرى: ليتق اللَّه أحدكم أن يأثم إثمًا كبيرًا وهو لا يشعر.

وقال البيهقي: وأحسنُ ما يحتجُ به أن يقال: إنَّ هذا التأليف لكتاب اللَّه تعالى مأخوذ من جهةِ النبي ﷺ ، وأخذ النبي عن جبريل، فالأولى بالقارئ أن يقرأه على التأليف المنقول المجمع عليهِ. انتهى

وقال الحكيم الترمذي: إن الرسول ﷺ أمرَ هذا الصحابي السالف الذكر -بلالًا- أن يقرأ السورة كما جاءت ممتزجة، وكما أنزل اللَّه تعالى، فإنَّه أعلمُ بدواء العباد وحاجتهم، ولو شاء اللَّه لصنعها أصنافًا، كل صنف على حدة، ولكنه مزجها لتصل القلوب بنظام لا يمل. انتهى

فمن أجل ما تقدَّم من هذه النصوص عن أئمة الإسلام وحماة القرآن نهيب بالقارئ أن يراقبَ ربَّه في تلاوتِه، وأن يقتدي برسول اللَّه ﷺ وصحابته وعلماء الإسلام في جميع القرون، فقد ثبتَ أنَّ هؤلاء جميعًا ما كانوا يتلونَ كتاب اللَّه تعالى إلَّا على الوجه الذي استقر في العرضة الأخيرة التي عرض فيها جبريل على النبي ﷺ القرآن مرتين، وكان ذلكَ على الترتيب الذي نقرؤه في المصاحف.

فإنَّ هذا الترتيب إنما هو ترتيب توقيفي عن اللَّه جل جلاله لحكم بالغة وأسرار جمة كما سبق. وليس هناك ما يبرر للقارئ أن يعدل عن هذا الترتيب، ويتغاضى عمّا فيهِ من حكم وأسرار.

لهذا نتوجه إلى السادة القراء في جميع البلاد والأقاليم وخصوصًا قراء الإذاعة الذين يعتبرونَ القدوة الحسنة، والأسوة الطيبة في قراءة القرآن الكريم -نتوجه إليهم جميعًا بالرجاء الأكيد والأمل الوطيد أن يلتزموا القراءة من مكان واحد، وأن يصلوا الآيات بعضها إلى بعض، وأن يعدلوا عن هذه السنَّة العوجاء سنة القفز والالتقاط، هذه السنة السمجة التي تمزق كتاب اللَّه عز وجل، وتبعد المسلمينَ عن فهم أسرارِه، والانتفاعِ بأنوارِه.

تلك السنة التي لا نعرف لها في دين اللّه أصلًا، ولا في أصول التلاوة سندًا، والاتباع خير من الابتداع.

كما نتوجه بالرجاء الحار إلى المستمعين للقرآن من المسلمين أنَّهم إذا سمعوا قارئًا ينتهجُ هذه الطريقة في تلاوتِه أن ينبهوه في لين ورفق، وفي حكمة وتريث إلى التزام الطريقة المثلى التي كان عليها سلفنا الصالح وعلماؤنا العاملون، صونًا للقرآن الكريم، ورعاية لحرمتِه وقداسته.

* * *

حكم جمع القراءات في المحافل

حاصل ما ذكره علماء القراءات أن الجمع قسمان:

الأول: ما يكون في حال التلقي، والمشافهة، والأخذ عن الشيوخ بأن يقرأ الطالب على أستاذه القراءات السبع، أو العشر، فيقرأ الآية برواية مع استيعاب طرقها، ثم يعيدُ الآية بالرواية الثانية مع استيعاب طرقها أيضًا، وهكذا حتى يستوعب جميع الروايات في قراءة هذه الآية. ثم ينتقل إلى الآية الثانية فيصنعُ فيها كما صنعَ في الآية التي قبلها وهكذا حتى ينتهي من قراءة القرآن الكريم كله على هذا النحو.

والقسم الثاني: ما يكون في المحافل، وكيفيته هي كيفية القسم الأول، فيقرأ القارئ الآية برواية ثم يعيدها بأخرى وهكذا حتى يستوعب جميع الروايات أومعظمها في هذه الآية، ثم ينتقل إلى الآية الثانية فيسيرُ فيها سيره في الأولى إن شاء وهكذا حتى يفرغ من قراءتِهِ.

وحينئذ لا يكون ثمة فرق بين القسمينِ إلَّا أنَّ الأول يكون بين يدي الأستاذ، والثاني يكون أمام الجمهور.

والجمعُ -بقسميه- مبتدع مستحدث، لم يكن في العصر النبوي ولا في عهد الخلفاء الراشدين، ولا في الصدرِ الأول،

ولا في عصرِ الأئمةِ المجتهدين.

على هذا اتفقت علماء القراءات سلفًا وخلفًا لم يشذ منهم أحد.

فلقد كان الطالبُ في هذه الأعصر يجلس إلى أستاذِه فيقرأُ عليه ما يريدُ من القراءات السبع، أو العشر، ولكنه لا يقرأ الآية أكثر من مرة بل يقرأ القرآن الكريم كله برواية واحدة، ثم يستأنف قراءته بالرواية الثانية، فيقرأ ختمته برواية قالون، وأخرى برواية ورش وثالثة برواية البزي، ورابعة برواية قنبل، وهكذا حتى يأتي على جميع الروايات.

وعلى هذه السنن كانت قراءة القرآن في المحافل، فكان القارئ لا يقرأ أمام الجمهور إلَّا برواية واحدة، لا يعيد آية، ولا يكرر أخرى.

ظلت قراءة القرآن الكريم على هذا النهج إلى أوائل القرن الخامس الهجري، وفي هذا القرن -وكان فيه من أئمةِ القراءة أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني- أحدث القسم الأول من الجمعِ، وهو الذي يكون في حالِ التلقي، وكان الحافزُ على إحداثه وابتداعِه ما رأى أئمة القراءة في هذا العصر من ضعف في العزائم، وفتور في الهمم، واحتياج إلى زمن طويل يمكن تلقي

علم القراءات فيه على طريقة السلف الصالح.

فرأوا -تيسيرًا على طالب تلقي القراءات، وشحذًا لعزيمته، وتمكينًا له من تحصيلِ هذا الفنِّ في وقت وجيز- أن يخترعوا هذا الجمع.

وهذا الجمعُ لم يتفق العلماء على جوازِه، بل منهم من أجازَه نظرًا لما يترتب عليه من الفوائد السالفة، ومنهم من منعه نظرًا لأنَّه لم يعهد في عصر التنزيل، ولا في القرون التي شهد لها الرسول ﷺ بالخيرية.

وهاك بعض نصوص العلماء فيه:

قال العلامة المحقق ابن الجزري في كتابِهِ «النشر في القراءات العشر»: وكانوا يقرءون على الشيخِ الواحد العدة من الروايات، والكثير من القراءات، كل ختمة برواية، لا يجمعون رواية إلى غيرها، وهذا الذي كان عليه الصدر الأول ومن بعدهم، إلى أثناء المائة الخامسة، عصر الداني، وابن شيطا، والأهوازي، والهذلي، ومن بعدهم.

فمن ذلكَ الوقت ظهر جمع القراءات في الختمة الواحدة، واستمرَّ إلى زماننا، وكان بعض الأئمة يكره ذلك من حيث إنَّه لم تكن عادة السلف الصالح عليه، ولكن الذي استقرَّ عليه

العمل هو الأخذ به، والتقرير عليه، وتلقيه بالقبول، وإنما دعاهم إلى ذلك فتور الهمم وقصد سرعة الترقي والانفراد، انتهى

وقال الجلال السيوطي في «الإتقان»: الذي كان عليه السلف الصالح أخذ كل ختمة براوية، لا يجمعون رواية إلى غيرها إلى أثناء المائة الخامسة فظهرَ جمع القراءات في الختمة الواحدة، واستقرَّ عليه العملُ. انتهى

وقال العلامة الدمياطي في كتابهِ «إتحاف فضلاء البشر»: وكان السلف لا يجمعون رواية إلى أخرى، وإنما ظهرَ جمع القراءات في الختمة الواحدة أثناء المائة الخامسة في عصر الداني واستمرَّ إلى هذه الأزمان. انتهى

وقال العلامة الصفاقسي في كتابه «غيث النفع في القراءات السبع»: لم يكن في الصدر الأول هذا الجمع المتعارف في زماننا، بل كانوا لاهتمامهم بالخير، وعكوفهم عليه يقرءون على الشيخ الواحد العدة من الروايات، والكثير من القراءات كل ختمة برواية، لا يجمعون رواية إلى رواية، واستمرَّ العملُ على ذلك إلى أثناء المائة الخامسة عصر الداني وابن شريح وابن شيطا ومكي والأهوازي وغيرهم، فمن ذلكَ الوقت ظهرَ جمع

القراءات في الختمة الواحدة، واستمرّ عليه العملُ إلى هذا الزمان، وكان بعض الأئمة ينكره من حيث إنَّه لم يكن عادة السلف. قلت: وهو الصوابُ، إذ من المعلوم أنَّ الحق والصواب في كل شيء مع الصدر الأول. قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقال ﷺ: **«وإنَّه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كلَّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»**.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من كان منكم متأسيًا فليتأس بأصحاب محمد ﷺ فإنَّهم كانوا أَبرَّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالًا، اختارهم اللَّه تعالى لصحبة نبيهِ ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنَّهم كانوا على الهدى المستقيم.

ثم قال صاحب «الغيث»: وانظر إلى توقف أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ أبي بكر وعمر، وغيرهما من الصحابة في جمع القرآن، وكتبه في المصاحف، وأشفقوا من ذلك مع أنَّه يظهر في بادىء الرأي أنَّه حق وصواب، إذ لولا جمعه وحفظه لذهب هذا

الدين. نعوذ باللّه من ذلك.

وتوقف كثير من أئمة التابعين، وأتباعهم في نقطه، وشكله، وكتبَ أعشارِه، وفواتح سوره، وبعضهم أنكرَ ذلك وأمرَ بمحوِه مع أنَّه فيهِ مصلحة عظيمة للصغار ومن لم يقرأ من الكبار في زماننا وزمانهم.

فإذا كان أعلمُ الناس وأفضلهم توقفوا في مثل هذا، وخافوا أن يكون ذلك حدثًا أحدثوه بعد نبيهم ﷺ فما بالك بأمر لا يترتب عليه كبير نفع، وربما يترتب عليه الفساد والغلط والخلط، والداعي إليه النفس لتحصيل حظوظها من الراحة، وتقصير زمن العبادة، جنح إلى هذا الكسالى والمقصرون، ووافقهم على ذلكَ شفقة عليهم، وخوفًا من انسلاخهم من الخيرِ بالكلية الأئمة المجتهدونَ. انتهى. من «غيث النفع».

ويؤخذُ من هذه النصوص أمران:

الأول: أنَّ المراد بالجمع في كلام هؤلاء الأعلام هو القسم الأول منه، وهو ما يكون في حال التلقي والأخذ عن الشيوخ، كما يرشد إلى ذلك قول ابن الجزري وصاحب غيث النفع: كانوا يقرءون على الشيخ الواحد. إلخ. وقول الشيخ السيوطي: الذي كان عليه السلف أخذ كل ختمة. فإنَّ المراد بالأخذ إنما

هو التلقي والقراءة على الشيخ.

ويرشد إلى ذلكَ أيضًا قول ابن الجزري: وإنما دعاهم إلى ذلكَ فتور الهمم، وقصد سرعة الترقي والانفراد، فالمراد بالترقي والانفراد معرفة هذا العلم، والإحاطة خبرًا بمسائله ودقائقه، والاستغناء عن المعلم.

الأمرُ الثاني: أنَّ هذا الجمعَ مختلف فيه بين العلماء، منهم من أجازه وهو ابن الجزري لما ينشأ عنه من سرعة الترقي والانفراد، والحصول على هذا العلم في أقرب وقت.

ومنهم من منعه وكرهه لمخالفتهِ ما كان عليهِ السلف الصالح، وممن صوب كراهته ومنعه الصفاقسي صاحب «غيث النفع» وعبارته صريحة في ذلك. وليس في هذه النصوص ما يفيدُ مطلقًا إباحة الجمع في المحافل، بل كلها صريحة في جواز الجمع أو منعه في حال التلقي فحسب.

وأمَّا القسمُ الثاني من الجمع -وهو الذي يكون في المحافل مع كونهِ مخترعًا مبتدعًا كالقسم الأول- فلم ينقل جوازه وإباحته عن أحد من علماء القرآن في جميع الأعصار والأمصار.

وبين أيدينا معظم كتب القراءات، مطبوعها ومخطوطها، وقد حكت الخلاف في القسم الأول من الجمع، وذكرتْ أنَّ من

العلماء من أجازه لما فيه من قصر الزمن، وسرعة التحصيل، ومنهم من منعه، لعدم وروده عن الصدر الأول، والسلف الراشد، وقد نقلنا لك بعض نصوصهم، ولكن لم نظفر فيها بنص واحد عن أحد من العلماء يبيح الجمع في المحافل، لأنَّ العلة التي من أجلها أبيح القسمُ الأول لا تتحقق في هذا القسم.

فحيث إنَّ الجمعَ في المحافل لم يكن في الصدر الأول، ولم يؤثر عن أحد من العلماء في أي عصر من العصور إباحته وجوازه، وليس هناك ما يبرره ويسيغه، تعيّن أن يكون من البدع الضارة، والسنن المحدثة الممقوتة، ويكون مندرجًا تحت قوله ﷺ: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»** رواهُ البخاري ومسلم وغيرهما. ذلك أن قراءة القرآن عبادة من أجلّ العبادات -وقربة من أعظم القربات، وقد اتفقت كلمة العلماء على أنَّ ما أحدث في العبادات سواء كان ذلك زيادة أم نقصًا، وسواء كان قولًا أم فعلًا- ولم يكن هناك من أدلة الشرع العامة ما يجيزه فهو بدعة وضلالة وتغيير لدين اللّه بما لم يأذن به اللّه.

فيجبُ الوقوف في جميع أنواع العبادات عند الحدّ الذي رسمه الشرع الشريف، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]. وقال ﷺ: «عليكم

بسنتي. . .» الحديث وقد ذكرناه آنفًا.

وقال أيضًا: **«اتبعوا ولا تبتدعوا فإنَّما هلك من كان قبلكم بما ابتدعوا في دينهم، وتركوا سنن أنبيائهم، وقالوا بآرائهم فضلّوا وأضلّوا»**

وقال ﷺ: **«خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»** رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود. فقد أخبر أن خير القرون مطلقًا قرنه، وذلك يقتضي تقديمهم في كل باب من أبواب الخير.

فلو لم يكن في هذا الجمع إلَّا أنَّه مخالف لما ورد عن الرسول وصحابته، وعن التابعين، بل وعن علماء القرآن في جميع العصور لكان ذلك كافيًا في ردهِ ومنعه.

على أنَّه قد ورد عن العلماء التصريح بإنكارِه ورفضهِ.

قال الإمامُ ابن الجوزي في كتابهِ «نقد العلم والعلماء» في باب تلبيس إبليس على القراء: إنَّ من تلبيسهِ عليهم أنَّ منهم من يجمعُ القراءات فيقول: ملك، مالك، ملاك. وهذا لا يجوزُ لأنَّه إخراج للقرآن عن نظمهِ. انتهى

وقال الإمامُ المجتهد أحمد بن تيمية في فتاويه: إنَّ جمع القراءات في الصلاة أو في التلاوة بدعة مكروهة، وجمعها

لأجل الحفظ والدرس من الاجتهاد الذي فعله طوائف، وإنَّ الجمعَ لم يقع بحال من الصحابة والتابعين. انتهى

والخلاصة أنَّ الجمعَ في المحافل بدعة منكرة، لا ينبغي إقرارها ولا السكوت عليها.

يضافُ إلى ذلكَ ما في هذا الجمع من التكرار الذي يقطع على السامع سلسلة تتابع المعاني، ويضطره -طوعًا أو كرهًا- إلى أن يحصر ذهنه في التفكير في الروايات المختلفة التي تطرق سمعه، فيحول ذلكَ بينه وبين المقصود الأعظم من سماع القرآن وهو فهمه وتدبره والانتفاع بما فيهِ من رشاد وهداية، وعظة وعبرة.

وإنِّي أعتقدُ أنَّ السبب الحامل للقراء من ذوي الأصوات على الجمعِ في المحافل ما فيه من لفت الأنظار إليهم، والتفات القلوبِ حولهم وما ينشأ عن ذلك من الشهرة، وذيوع الصيت، الذي يجلب لهم الثمرة المادية، والمنفعة العاجلة.

إنَّ في هذا الجمع من المثالب -غير ما ذكر- العجب والرياء والفخر والخيلاء، وحب الظهور، والقصد إلى التفوق على الأقران.

إنَّ بعض القراء يقصد من هذا الجمع -مع ما ذكر- التفنن في

توقيع الآيات القرآنية على قواعد الموسيقى، وقوانين النغم، لذلكَ تسمعه يقرأ الآية بنغم خاصة، ثم يعيدها برواية أخرى ليتوصل بذلك إلى إعادة الآية بنغمة أخرى وهكذا.

ومن أقبح أنواع الجمع ما يسمونه الجمع الحرفي، وهو أن يعمد القارئ إلى كلمة مشتملة على روايات متعددة أو أوجه متنوعة، فيعيدُ هذه الكلمة بعدد ما فيها من الروايات أو الأوجه في نفس واحد.

فيقول مثلًا: وقالت هَيْتَ لك. وقالت هِيتَ لك. وقالت هَيْتُ لك. وقالت هِئْتَ لك. وقالت هِئْتُ لك. يقصدُ القارئ بذلك الإغراب على السامعين، وإيهامهم أنَّ عنده من كثرة الروايات والأوجه ما ليس عند غيرِهِ.

وكل من عنده أدنى مُسكة من فهم أو ذوق يدرك أنَّ هذا النوع مخل بنظم القرآن، ومضيع لرونق التلاوة، مذهب لجمال الأداء.

والقارئ الذي في قلبهِ بقية من دين، وأثارة من توقير القرآن وتقديسه لا يرتكب هذه الجريمة النكراء في تلاوةِ كلام ربِّ العالمين.

وقصارى القول أنَّه يجبُ على القارئ شرعًا أن يقرأ لراوٍ

واحد سواء كان حفصًا أم غيره. نعم إذا قرأ حزبًا أو نصفه أو ربعه لراوٍ كورش مثلًا وأرادَ أن يقرأ حزبًا آخرَ فله أن ينتقلَ لراوٍ آخرَ. وعليهِ ألَّا يقرأ لراوٍ ما إلَّا إذا كان واثقًا مما يقرأ متثبتًا من أصول الراوي وفرشهِ، فإذا شك في وجه أو طريق فعليه أن يدع ما يريبه إلى ما لا يريبه، ويقرأ بما هو متثبت منه حتى لا يخلط بين رواية ورواية، وحتى لا يقرأ بما لم يرد عن الراوي الذي يقرأ له.

* * *

حكم التغني بالقرآن وتحسين الصوت به

اختلفَ العلماء في التطريب بالقرآن، والترجيع فيه، والتغني به، وتحسين الصوت بقراءته، فذهبَ فريق إلى كراهة ذلك وإنكاره، ومن هذا الفريق أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والحسنُ البصري، وابن سيرين، ومالك بن أنس، وأحمد بن حنبل، واستدلوا على ذلكَ بالأدلة الآتية:

الأول: ما روي عن زياد النميري أنَّه جاء مع القراء إلى أنس ابن مالك فقيل له: اقرأ، فرفع صوتَه وَطَرَّبَ وكان رفيع الصوت فكشف أنس عن وجهه، وكان على وجهه خرقة سوداء، وقال: يا هذا ما هكذا كانوا يفعلون، وكان إذا رأى شيئًا ينكره كشف الخرقة عن وجهه.

الثاني: روي عن سعيد بن المسيب أنَّه سمعَ عمر بن عبد العزيز يؤم الناس فَطَرَّبَ في قراءتِه فأرسلَ إليهِ سعيد بن المسيب يقول: أصلحك اللَّه إنَّ الأئمة لا تقرأ هكذا، فتركَ عمر التطريب بعد ذلك.

الثالث: روى عن القاسم بن محمد أن رجلًا قرأ في مسجد رسول اللَّه ﷺ فطرب فأنكرَ ذلك القاسم، وقال: يقول اللَّه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ

خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

الرابع: روى ابن القاسم عن مالك ﷺ أنَّه سئلَ عن الألحان في قراءة القرآن الكريم في الصلاة. فقال: لا تعجبني، إنما هو غناء يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم.

الخامس: روى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس أنَّه كان لرسول اللَّه ﷺ مؤذن يطرّب، فقال له رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ الأذانَ سمح سهل، فإن كانَ أذانك سهلاً سمحًا، وإلاَّ فلا تؤذن**» أخرجه الدارقطني.

قال القرطبي: فإن كان النبي ﷺ قد منع ذلك في الأذان، فأحرى ألَّا يجيزه في قراءة القرآن الذي حفظه الرحمن، فقال وقوله الحق: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ...﴾ الآية [فصلت: ٤١].

السادس: روي عن أحمد بن حنبل أنَّه قال: القراءة بالألحان لا تعجبني وهي بدعة لا تسمع.

السابع: قال عبد اللَّه بن يزيد العكبري: سمعتُ رجلًا يسأل أحمد بن حنبل: ما تقول في القراءة بالألحان؟ فقال: ما اسمك؟ قال: محمد، فقال له: أيسرك أن يقال لك يا موحمد -بالمد؟

قال القاضي أبو يعلى: وهذه مبالغة في الكراهة.

الثامن: حديث «اقرأوا القرآن بلحون العرب» وسيأتي الحديث بتمامه.

التاسع: ذكر القاضي أبو يعلى في الجامع، أنَّه ﷺ ذكر أشراط الساعة، وذكر أشياء منها أن يتخذ القرآن مزامير، يقدمون أحدهم، ليس بأقرئهم ولا أفضلهم إلَّا ليغنيهم غناء.

العاشر: إنَّ التطريب بالقرآن، وتحسين الصوت به ذريعة تفضي إلى التلاعب بكتاب اللَّه تعالى بالزيادة فيه، أو بالنقص منه، أو بتطويل المد فوق المقدار المقرر له، أو تقصيره عن المقدار المذكور، أو المبالغة في الغن إلى غير ذلك مما يترتبُ على القراءة بالتطريب من انحراف عن الجادة في القراءة، وبُعْدِ عن الصواب في التلاوة، فالمنعُ من التطريب كالمنعِ من الذرائعِ الموصلة إلى الحرام.

وذهبَ فريق إلى إباحة التطريب بالقرآن -وتحسين الصوت عند قراءتِهِ- ومن هذا الفريق: عبد اللَّه بن عباس، وعبد اللَّه بن مسعود، وعطاء بن أبي رباح، وأبو حنيفة وأصحابه، والشافعي وأصحابه وابن المبارك واختاره الطبري وابن العربي وغيرهما.

قال الإمام النووي في «التبيان»: أجمعَ العلماء من السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار

أئمة المسلمين على استحباب تحسين الصوت بالقرآن، وأقوالهم وأفعالهم مشهورة نهاية الشهرة، فنحن مستغنون عن نقل شيء من أفرادها، ودلائل هذا من حديث رسول اللَّه ﷺ مستفيضة عند الخاصة والعامة. انتهى

وقال ابن القيم في «زاد المعاد»: وكان عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد يتتبع الصوت الحسن في المساجد في شهر رمضان، وذكر الطحاوي عن أبي حنيفة وأصحابِهِ أنَّهم كانوا يستمعونَ القرآن بالألحانِ.

وقال محمد بن عبد الحكم: رأيتُ أبي والإمام الشافعي، ويوسف بن عمر، يستمعونَ القرآن بالألحان. انتهى

استدل هذا الفريق على ما ذهب إليه بما يلي:

قال رسول اللَّه ﷺ: **«زينوا القرآن بأصواتكم»** أخرجه أبو داودَ والنسائي وابن ماجه. وفي لفظ عند الدارمي: **«حسنوا القرآن بأصواتكم فإنَّ الصوتَ الحسن يزيدُ القرآن حسنًا»**، وفي حديث آخر: **«حسن الصوت زينة القرآن»** أخرجه البزار وغيره.

وقال ﷺ: **«من لم يتغن بالقرآن فليس منَّا»** أخرجه أبو داود.

وقال ﷺ: **«للَّهُ أشدُّ أذَنًا إلى الرجلِ الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القَينة إلى قينته»** أخرجه ابن ماجه. وأَذَنًا بفتح الهمزة

وفتح الذال مصدر أَذِن بفتح الهمزة وكسر الذال (من باب فرح) بمعنى استمع فأذَنًا معناه الاستماع. قال اللّه تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ٢] أي استمعت لربها وحق لها أن تستمع أمره وتطيعه، وتنقاد له، والمراد بالاستماع في الحديث الرضا والقبول كما في قول المصلى في الاعتدال: سمع اللّه لمن حمده.

قال الإمام القرطبي: أصلُ الأذن بفتحتين أنَّ المستمع يميلُ بأذنهِ إلى جهةٍ من يسمعه، وهذا المعنى في حق اللّه تعالى لا يرادُ بهِ ظاهره، وإنما هو على سبيل التوسع على ما جرى به عرف التخاطب، والمراد به في حق اللّه تعالى إكرامُ القارئ وإجزال ثوابهِ لأنَّ ذلكَ ثمرة الإصغاء.

والقينة: الأمة المغنية، والجمعُ قينات.

وقال ﷺ: **«لم يأذن اللّه لشيء ما أَذِنَ لنبي يتغنى بالقرآن»** أخرجه البخاري ومسلم والنسائي، ومعناهُ أنَّ اللّه لم يستمع لشيء كاستماعِه لقراءة نبيٍّ يتغنى بقراءتهِ ويحسنها بصوتِه، وذلك أنَّه يجتمعُ في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم، وتمام خشيتهم، وهو سبحانه يسمعُ أصوات العباد كلهم، برهم وفاجرهم، كما قالت عائشة رضي الله عنها: سبحان الذي وسع سمعه

الأصوات. ولكن استماعه لقراءة عبادِه المؤمنين أعظمُ، ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ، كما دلَّ عليه هذا الحديث.

وخرج ﷺ على أصحابِه يومًا، وهم في المسجد يتدارسون القرآن، فقال لهم: «**تعلموا كتاب اللَّه واقتنوه وتغنوا بهِ فوالذي نفسي بيده لهو أشدُّ تفلتًا من المخاض من العُقُل**» أخرجه النسائي، ومعنى اقتنوه: اجعلوه مالكم وحافظوا عليه كما تحافظون على المال، ومعنى تغنوا به: حسنوا أصواتكم بقراءته.

وقال ﷺ : «**إنَّ هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنوا به، فمن لم يتغن به فليس منّا**» أخرجه أبو داود وابن ماجه.

وفي رواية لأبي داود عن عبد الجبار بن الورد قال: سمعت ابن أبي مليكة يقول: قال عبيد اللَّه بن أبي زيد: مرَّ بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فدخلنا عليه، فإذا رجل رث البيت، رث الهيئة، فسمعته يقول: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**ليس منَّا من لم يتغن بالقرآن**» قال فقلت لابن أبي مليكة: يا أبا محمد أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت؟ قال: يحسنه ما استطاع. ويؤخذ من هذا أنَّ السلف لم يفهموا من التغني بالقرآن إلَّا تحسين الصوت به، وتحزينه.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنَّ الرسول ﷺ قال له: «**يا أبا موسى لقد أوتيتَ مزمارًا من مزامير آل داود**» أخرجه البخاري. والمزمارُ: الآلة المعروفة، والمرادُ به هنا الصوت الحسن. وكان داود عليه السلام أحسنُ الناس صوتًا، فشبه حسن صوت أبي موسى وحلاوة نغمته بصوت هذا المزمار، وقوله ﷺ: «آل داود» قال الخطابي: يريدُ داود نفسه لأنَّه لم ينقل أن أحدًا من أولاد داود ولا من أقاربه أعطي من حسن الصوت ما أعطي داود. وفي الحديث امتداح الرسول قراءة أبي موسى وتقريره عليها.

وعن أبي موسى الأشعري أيضًا، أن رسول ﷺ قال له: «**لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة**». فقال: أما واللّه لو أعلم أنك تستمعُ قراءتي لحبَّرتُها لك تحبيرًا» أخرجه مسلم. والتحبير: التزيين والتحسين، أي لزينته وحسنته بصوتي تزيينًا.

وهذا دليل على جواز تعاطي ذلك وتكلفه.

وعن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: أبطأت على رسول اللّه ﷺ ليلة بعد العشاء، ثم جئت، فقال: «**أين كنت؟**» قلتُ: كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءتهِ وصوته من أحد، قالت: فقام فقمتُ معه حتى استمع له، ثم التفت إليّ

فقال: «**هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمدُ للّه الذي جعل في أمتي مثل هذا**» أخرجه ابن ماجه.

وقال الزهري: عن أبي سلمة كان عمر رضي الله عنه إذا رأى أبا موسى الأشعري، قال له: ذكرنا ربنا أبا موسى، فيقرأ عنده. وقال عمر: من استطاعَ أن يتغنى بالقرآن غناء أبي موسى فليفعل.

وقال أبو عثمان النهدي رضي الله عنه: كان أبو موسى يصلي بنا فلو قلت إنِّي لم أسمع صوت صَنْج ولا بَرْبَط ولا شيئًا قط أحسن من صوتِه.

والصنجُ بسكون النون آلة من آلات الملاهي ويجمعُ على صنوج. وبربط كجعفر هو العود وهو من آلات الطربِ أيضًا وهو معرب.

وكان عقبة بن عامر من أحسن الناس صوتًا بالقرآن، فقال له عمر: اعرض عليّ سورة كذا، فعرض عليه، فبكى عمر وقال: ما كنتُ أظنُّ أنّها نزلت.

وعن جبير بن مطعم قال: سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فما سمعتُ أحدًا أحسنَ صوتًا أو قراءة منه، وفي بعض ألفاظه فلمّا سمعته قرأ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ

﴿ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥] خلت أنَّ فؤادي قد انصدع، وكاد قلبي يطير. وكان جبير حين سمعَ هذا مشركًا على دين قومه، وإنما قدم لفداء الأسرى بعد بدر، وناهيك بمن تؤثر قراءته في المشرك المصر على الكفرِ.

فكان هذا سبب هدايتهِ، ولهذا كان أحسن القراء ما كان عن خضوع وخشوع من القلبِ لتثمرَ ثمرتها، قال ﷺ: «**أحسنُ الناس صوتًا بالقرآن أخشاهم لله**». وقال ﷺ: «**إنَّ من أحسنِ الناس صوتًا بالقرآن من إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله**». أخرجه ابن ماجه

قال ابن كثير: والغرضُ أنَّ المطلوب شرعًا إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة. انتهى

وعن البراء قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأ في العشاء بالتين والزيتون، فما سمعتُ أحدًا أحسن صوتًا منه. رواهُ البخاري ومسلم.

قال الشيخُ النووي: ويستحبُّ طلب القراءة من حسن الصوت والإصغاء إليها لهذه الأحاديث الصحيحة، وهو سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ .

فعن عبد اللّه بن مسعود قال: قال لي رسول اللّه ﷺ: «**اقرأ عليّ القرآن**، فقلتُ: يا رسول اللّه أقرأ عليك وعليك أنزل، قال: **إنّي أحبُّ أن أسمعه من غيري**، فقرأت عليهِ سورة النساء حتى إذا جئت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [آية: ٤١] **قال: حسبك الآن**، فالتفتُ إليهِ فإذا عيناهُ تذرفان» أخرجه البخاري ومسلم. وتذرفان بكسر الراء مضارع ذرَف بفتح الراء، وهو من باب ضرب، يقال ذرفتُ العين: سال دمعها.

قال النووي: وفي هذا الحديث فوائد، منها:

استحباب استماع القراءة، والإصغاء لها، والبكاء عندها، وتدبرها، واستحباب طلب القراءة من غيره ليستمعَ له، وهو أبلغُ في التفهم والتدبر من قراءتِه بنفسِه، وفيه تواضع أهل العلمِ والفضل ولو مع أتباعهم.

هذا ما استدل به هذا الفريق على مذهبه من جهةِ النقل، واستدلوا عليه من جهةِ العقل بأنَّ تزيين القرآن، وتحسين الصوت به، والتطريب بقراءتِه له أعظم الأثر في النفس، وأجل الوقع في القلب، وهو أدعى إلى الاستماع والإصغاء إليه، فبه تنفذ ألفاظه إلى الأسماع، وتنفذ معانيه إلى القلوب، وهو بمنزلة

الحلاوة التي تجعلُ في الدواء ليسوغ تعاطيه، فينفذ إلى الداء، وبمثابة الطيب الذي يضاف إلى الطعام لتقبل النفس عليه برغبة وشهية.

قالوا: ولابد للنفس من الطرب والاشتياق إلى الغناء، فعوضت عن طرب الغناء بطرب القرآن، كما عوضت عن كل محرم ومكروه بما هو خير منه.

قالوا: وهذا التطريب والتلحين أمر راجع إلى كيفية الأداء، وتارة يكون سليقة وطبيعة، وأخرى يكون تكلفًا وتعملًا، وكيفيات الأداء لا تخرج الكلام عن وضع مفرداتِه، بل هي صفات الصوت المؤدى، جارية مجرى مدود القراء الطويلة والمتوسطة، لكن تلك الكيفيات متعلقة بالحروف، وكيفيات الألحان والتطريب متعلقة بالأصوات.

هذا -وقد اعترض الفريق الأول على الفريق الثاني بأن ما استدلوا به من الأحاديث والآثار لا يدل على مدعاهم.

فأمَّا حديث: **«زينوا القرآن بأصواتكم»** فليس على ظاهرِه، وإنما هو من باب المقلوب أي زينوا أصواتكم بالقرآن. قال الخطابي: وهكذا فسره غير واحد من أئمة الحديث، زينوا أصواتكم بالقرآن. وقالوا: هو من باب المقلوب. كما يقال

عرضت الناقة على الحوض، والأصلُ: عرضت الحوض على الناقة. قال الخطابي: ورواهُ طلحة عن عبد الرحمن بن عوسجة، عن البراء أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: **«زينوا أصواتكم بالقرآن»**، أي الهجوا بقراءتِهِ، واشغلوا به أصواتكم، واتخذوه شعارًا وزينة، وقيل معناهُ الحض على قراءة القرآن، والدؤوب عليه.

وقال الإمامُ القرطبي في «التذكار»: وإلى هذا المعنى يرجعُ قوله عليه السلام **«ليس منّا من لم يتغن بالقرآن»** أي ليس منّا من لم يحسن صوته بالقرآن، كذلك تأوله عبد اللّه بن زيد، وابن أبي مليكة.

قال عبد اللّه بن زيد: مرَّ بنا أبو لُبابة فاتبعناهُ حتى دخل بيته فإذا رجل رث الهيئة، فسمعته يقول: قال ﷺ : **«ليس منّا من لم يتغن بالقرآن»**، فقلتُ لابن أبي مليكة: يا أبا محمد أرأيت إن لم يكن حسن الصوت؟ قال: يحسنه ما استطاع. ذكره أبو داود.

وإليه يرجعُ أيضًا قول أبي موسى للنبي ﷺ : لو علمت أنّك تسمع لقراءتي لحبرته لك تحبيرًا. أي لحسنتُ صوتي بالقرآن، وزينته به، ورتلته.

وهذا يدل على أنّه كان يَهُذُّ في قراءته -يسرعُ فيها- مع حسن

صوته الذي جبل عليه، فلو علم أنَّ الرسول ﷺ كان يسمعه لمد في قراءتِه ورتلها كما كان يقرأ على الرسول ﷺ ، فيكون ذلك زيادة في حسن صوتِه بالقرآن، وهو معنى ما روي عن عبد اللّه ابن الزبير أنَّه قال: ما أدركتُ رجلًا من المهاجرين إلَّا وقد سمعته يترنم بالقرآن، ومعاذ اللّه أن يتأول على رسول اللّه ﷺ أن يقول إنَّ القرآن يزين بالأصوات أو بغيرها، فمن تأوَّلَ هذا فقد واقع أمرًا عظيمًا، أن يحوج القرآن إلى ما يزينه، وهو النور والضياء، والزين الأعلى لمن ألبس بهجته، واستنارَ ضيائه.

وقيل معنى يتغنى به يستغني به من الاستغناء الذي هو ضدُ الافتقار، لا من الغناء. يقال: تغنيت وتغانيت بمعنى استغنيت، وأغناهُ اللّه، وتغانوا أي استغنى بعضهم عن بعض.

قال الجوهري: تغنى الرجل بمعنى استغنى، وقال الشاعر:

كلانا غني عن أخيه حياته ونحنُ إذا متنا أشدُّ تغانيا

وإلى هذا المعنى ذهب سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح وغيرهما، وقيل معناهُ: يستغني به عمّا سواه من الأحاديث وأخبار الأمم، وروي هذا المعنى عن سفيان أيضًا.

وقيل معنى التغني بالقرآن الجهر به. والدليل على هذا التأويل حديث مسلم عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ : **«ما أذن**

اللَّه لشيء كأَذنِه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن، يجهرُ به»، ولم يقل يطرب به. والعربُ تسمي كل من رفع صوته ووالى غانيًا، وفعله ذلك غنّاء، وإن لم يلحن بتلحين الغناء.

وأمَّا حديث عائشة: أبطأتُ على رسول اللَّه ﷺ -الحديث وقد ذكرناه بتمامه فلا يدل لهم أيضًا؛ لأنَّ عائشة قالت: لم أسمع مثل قراءتِه وصوته، ولم تقل مثل ترجيعه وتطريبه وتغنيه.

وقيل معنى تغنى به أي يَظْهَرُ على قارئهِ الحزن الذي هو ضدُّ السرور، عند تلاوتهِ، ذهبَ إلى هذا جماعة من العلماء منهم: الحليمي والليث بن سعد وآخرونَ.

واحتجوا على ذلك بما رواهُ عبد الرحمن بن أبي السائب، قال: قدم علينا سعد بن أبي وقاص، وقد كفَّ بصره، فسلّمتُ عليه فقال: مرحبًا بابن أخي، بلغني أنَّك حسن الصوت بالقرآن، سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: **«إنَّ هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنوا به، فمن لم يتغن به فليس منّا»** أخرجه ابن ماجه.

قال أبو عبيد: ومجمل الأحاديث التي جاءت في حسن الصوت إنما هو على طريق الحزن والتخويف.

وقال الحليمي: والذي يظهر بدلالة الأخبار أنَّه أرادَ بالتغني

أن يحسن القارئ صوته مكان ما يحسن المغني صوته بغنائه، إلَّا أنَّه يميل به نحو التحزن دون التطريب. إذ قد عوض اللَّه عن غناء الجاهلية خيرًا منه، وهو القرآن الكريم، فمن لم يحسن صوته بالقرآن، ولم يرض به بدلًا من ذلكَ الغناء فليس منا، إلَّا أن قراءة القرآن لا يدخلها التغني وفضول الألحان وترديد الصوت ما يلبس المعنى، ويقطعُ أوصال الكلام، كما قد دخل ذلك كله الغناء. وإنما يليق بالقرآن حسن الصوت والتحزين به دون ما عداه.

وسُئلَ الرسولُ ﷺ: من أحسن الناس قراءة؟ فقال: «**من إذا سمعته يقرأ حسبتَ أنَّه يخشى اللَّه**»، وقال: «**إنَّ هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا**». أخرجه ابن مردويه وأبو يعلى وأبو نعيم في الحلية.

وعن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن يتحزن به**» أخرجه الطبراني.

وأمَّا حديث: «**تعلموا القرآن وتغنوا به**» -الحديث وقد سبق- فهو وإن صح سنده فقد عارضه غير ما حديث حسبما تقدّم، وما ثبت عن الرسول ﷺ من بيان قراءته، على أنَّه يحتمل أن يكون معنى «**وتغنوا به**» الهجوا بتلاوتِه وذكره كما تقدّم.

هذا كله كلام القرطبي. ثم قال: والدليل على هذا ما يعلم من القطع والبيان من أنَّ قراءة القرآن بلغتنا متواترة جيلًا فجيلًا إلى العصر النبوي الكريم إلى رسول الله ﷺ ، وليس فيها تلحين، ولا تطريب، مع كثرة المتعمقين في مخارج الحروف، وفي المد، والإظهار والإدغام، وغير ذلكَ من كيفياتِ الأداء.

ثم إنَّ في الترجيعِ والتطريب همز ما ليس بمهموز، ومد ما ليس بمدود:. فترجعَ الألف الواحدة ألفات، والواو الواحدة واوات، ، والياء ياءات، فيؤدي ذلك إلى زيادة في القرآن الكريم، وهو ممنوع.

هذا خلاصة ما عضد بهِ الإمام القرطبي، مذهب الفريق الأول.

وأجابَ الفريق الثاني عن الاعتراضات السابقة بما يلي:

أمَّا تأويلهم حديث **«زينوا القرآن بأصواتكم»** بأنَّه من باب القلب، والأصلُ «زينوا أصواتكم بالقرآن» فخلاف الظاهر، إذ الأصل عدم القلب، وقد ورد في السنة ما يدلُّ -في صراحة وجلاء- على إبقاء الحديث على ظاهره، وهو ما أخرجه الدارمي بسنده إلى رسول الله ﷺ : **«حسنوا القرآن بأصواتكم فإنَّ الصوتَ الحسن يزيد القرآن حسنًا»**، وما أخرجه البزار وغيره

عنه ﷺ «حسن الصوت زينة القرآن».

وأمَّا حديث ابن أبي مليكة فهو حجة لنا، لأنَّه لما قيل له: أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت، قال: يحسنه ما استطاعَ. فقوله هذا يدل على أنَّه لم يفهم من التغني في الحديث إلَّا تحسينَ الصوت عند قراءة القرآن.

وأمَّا حديث أبي موسى الأشعري «لو علمت أنَّك تسمع لقراءتي لحبرته لك تحبيرًا». وحديث عبد اللَّه بن الزبير «ما أدركتُ رجلًا من المهاجرين إلَّا وقد سمعته يترنم بالقرآن» فالمعنى المتبادر لهما الذي لا يكادُ يخطرُ بالبال سواه بمجرد سماع الحديثين إنما هو تزيين الصوت وتحسينه عند قراءة القرآن والتطريب بتلاوته.

وأمَّا التأويل الذي ذكره القرطبي واستدل عليه، وأسنده إلى ابن عيينة، وهو أن يتغنى بمعنى يستغني فقد رده إمامُ المفسرين العلامة ابن جرير الطبري، وذهبَ إلى أنَّ التغني هو تحسينُ الصوت عند التلاوة وهاك ما قاله باختصار:

«الدليل على أنَّ معنى الحديث تحسينُ الصوت والغناء المعقول الذي هو تحزين القارئ سامع قراءته -كما أنَّ الغناء بالشعر هو الغناء المعقول الذي يطرب سامعه، ما روى سفيان،

عن الزهري، عن أبي هريرة أنَّ رسول اللّه ﷺ قال: **«ما أذِنَ اللّه لشيء ما أذِنَ لنبي حسن الترنم بالقرآن»**.

ومعقول عند ذوي الحجا أنَّ الترنم لا يكون إلّا بالصوت إذا حسنه المترنم وطرّب به وروي في هذا الحديث **«ما أذِنَ اللّه لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن، يجهرُ به»** وهذا الحديث من أبين البيان أن ذلك كما قلنا، ولو كان كما قال ابن عيينة -يتغنى به أي يستغني به عن غيره- لم يكن لذكر حسن الصوت، أو الجهرِ بهِ معنى، والمعروف في كلام العرب أنَّ التغني إنما هو الغناء الذي هو حسنُ الصوت بالترجيع، قال الشاعر:

تغن بالشعرِ إنْ ما كنت قائله   إنَّ الغناء لِهَذْ الشعرِ مضمارُ

وأمّا ادِّعاء الزاعم أن تغنيت بمعني استغنيت، فليس في كلام العرب، فلم نعلم أَحدًا قال به من أهل العلم بكلام العرب» انتهى. من الطبري

وقال الإمام أبو الحسن بن بطال: وقد رفَعَ الإشكال في هذه المسألة ما رواهُ ابن أبي شيبة بسنده إلى رسول اللّه ﷺ قال: **«تعلموا القرآن وتغنوا به واكتبوه، فوالذي نفسي بيده لهو أشدُّ تفصيًا من المخاض من العقل»**. وفي مسند الإمام أحمد مثله.

وسُئِلَ الإمامُ الشافعي عن تأويل ابن عيينة فقال: نحنُ أعلمُ بهذا لو أرادَ به الاستغناء لقال: ليس منا من لم يستغن بالقرآن، ولكن لما قال يتغن بالقرآن علمنا أنَّه أراد التغني والترنم به.

وقال العلامة ابن كثير: هذا المعنى الذي ذهب إليهِ ابن عيينة خلاف الظاهر من مراد الحديث لأنَّه قد فسّره بعض رواته بالجهرِ وهو تحسينُ القراءة والتحزين بها. انتهى

وأمَّا تأويل التغني بالجهرِ فلا ينافي ما ذهبنا إليهِ لأنَّ الجهر بالقراءة لا ينافي تحسين الصوت بها فقد يجهر القارئ بقراءتِه مع تحسين الصوت والتطريب به.

وأمَّا حديث عائشة فهو دليل لنا أيضًا لأنَّها ذكرت الصوت مع القراءة. فقالت: مثل قراءته وصوته، فيدل على إعجابها بالأمرين، حسن القراءة وجمال الصوت، ولو كان المرادُ من تحسين الصوت بالقراءة في الأحاديث السابقة ترتيلها وإجادتها، والتأني فيها -كما فهموا- لاقتصرت على القراءة وقالت: ما سمعتُ مثل قراءته، فذكرها الصوت مع القراءة دليل واضح على أنَّ القارئ كان يطرب بالقرآن ويحسنُ تلاوته بصوتِه، وهذا ما ندعيه.

وأمَّا تأويل التغني بالتحزين فنحن لا نمنعه بل نقول إنَّ القارئ ينبغي له أن يترنم بالقراءة، ويجتهد في تحسين صوتِه بها مع ميله

بصوتِه نحو التحزين بأن يؤثر من النغم ما يجعلُ السامعَ في حزن وأسى حتى تتأثرَ نفسه بما يسمعُ فيؤدي ذلك إلى كمال خشيته وتمام خوفِه من مولاه عزوجل فيكون لذلكَ أثره في سلوكهِ، وهذا ما يفيده صريح كلام الحليمي.

وأمَّا حديث: «**تعلموا القرآن وتغنوا بهِ..**» إلخ فدعواهم أنَّ هناك أحاديث كثيرة تعارضه، دعوى لا تتفق والواقع، فإنَّ الكثرة الكاثرة من الأحاديث صحيحها وحسنها تعانق هذا الحديث، وتقرر مضمون مغزاه.

وأمَّا قول العلامة القرطبي، إنَّ قراءة القرآن بلغتنا متواترة وليس فيها تلحين ولا تطريب فليس على ما ينبغي لأنَّ التطريب والتلحينَ ليس كيفية من الكيفيات المتعلقة بضبط الحروف، وتحسينُ الأداء حتي يحتاج في إثباتِه إلى التواتر، وحتى يمكن ضبطه ونقله، وإنما هو كيفية من الكيفيات المتعلقة بالأصوات، وهو ضرب من أضرب التحديث بالكلام وطريق من طرق إلقائه، والناس في هذا متفاوتون تفاوتهم في الغرائز، والاستعدادات، والخصائص، فلكل شخص صوته الخاص، ونبراته الخاصة، وإلقاؤه الخاص، فحينئذ يتعذر نقل هذه الكيفيات المتعلقة بالضبط والأداء التي لا تختلف باختلاف الأشخاص فيتيسرُ نقلها ومحاكاتها جيلًا بعد

جيل، وعصرًا إثر عصر.

وقولهم: إنَّ الترجيع والتطريب فيه همز ما ليس بمهموز. إلخ. غير مسلم فإنَّ القارئ يستطيع -في سهولة ويسر- أن يتغنى بالقرآن، ويرجع فيه ويحسن صوته بتلاوته، مع تحريه الدقة في تجويد كلماتِه، وإتقان حروفه، وتجميل أدائه، ومراعاة حسن الوقف والبدء، إلى غير ذلكَ من القواعد التي وضعها أئمة القراءة.

وكم سمعنا من قراء هذا العصر من يجمعُ بين الحسنيين، ويوفق بين الفضيلتين: متانة الترتيل، وعذوبة التطريب.

وللإمام ابن القيم في هذا المقام كلام جيد فإنَّه -بعد أن ذكر مذهب الفريقين، وأوردَ حجج كل منهما- قال: وفصل النزاع أن يقال: التطريب والتغني على وجهين:

الأول: ما اقتضته الطبيعة، وسمحت به، من غيرِ تكلف ولا تمرين ولا تعليم، بل إذا خلي وطبعه، واسترسلت طبيعته، جاءت بذلكَ التطريب والتلحين، فذلكَ جائز وإن أعانَ طبيعته بفضل تزيين وتحسين، كما قال أبو موسى للنبي ﷺ لو علمت أنَّك تسمعُ لحبرته لك تحبيرًا، والحزين ومن هاجه الطرب والحب والشوق لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب في القراءة، ولكن النفوس تقبله وتستحليه لموافقتِهِ الطبع، وعدم التكلفة والتصنع فيه فهو

مطبوع لا متطبع، وَكَلِفٌ لا متكلّف، فهذا هو الذي كان السلفُ يفعلونه ويستمعونه، وهو التغني الممدوح المحمود، وهو الذي يتأثرُ به التالي والسامع، وعلى هذا الوجه تحمل أدلة أرباب هذا القول كلها وهو جواز التطريب والتغني.

الوجه الثاني: ما كان من ذلك صناعة من الصنائع وليس في الطبع السماحة به بل لا يحصلُ إلّا بتكلف وتصنع وتمرن، كما يتعلمُ أصوات الغناء بأنواع الألحان البسيطة والمركبة على إيقاعات مخصوصة وأوزان مخترعة لا تحصل إلّا بالتعلم والتكلف.

فهذه هي التي كرهها السلف وعابوها وذموها، ومنعوا القراءة بها وأنكروا على من قرأ بها. وأدلة أرباب هذا القول -وهو منع التطريب- إنما تتناول هذا الوجه. وبهذا التفصيل يزول الاشتباه ويتبين الصواب من غيرِهِ.

وكل من له علم بأحوال السلف يعلمُ قطعًا بأنَّهم براء من القراءة بألحانِ الموسيقى المتكلفة التي هي إيقاعات وحركات موزونة، معدودة محدودة، وأنَّهم أتقى للّه من أن يقرءوا بها ويُسَوِّغوها، ويعلمُ قطعًا أنَّهم كانوا يقرءون بالتحزين والتطريب ويحسنونَ أصواتهم بالقرآن ويقرءونه بشجى تارة، وبطرب تارة، وبشوق أخرى وهذا أمر مركوز في الطباع تقاضيه، ولم ينه عنه

الشارع مع شدة تقاضي الطباع له بل أرشدَ إليه وندب إليه وأخبرَ عن استماع اللَّه لمن قرأ به، وقال: ليس منّا من لم يتغن بالقرآن.

وفيه وجهان: أحدهما أنَّه إخبار بالواقع الذي كلنا نفعله، والثاني أنَّه نفي لهدى من لم يفعله عن هديه وطريقته واللَّه أعلمُ. انتهى. من «زاد المعاد».

وقال ابن كثير: فأمَّا الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية، والقانون الموسيقائي - كذا - فالقرآن ينزه عن هذا، ويجل ويعظم عن أن يسلك في أدائه هذا المذهب، وقد جاءت السنة بالزجرِ عن ذلك. قال ﷺ: **«اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإيّاكم ولحون أهل الفسق، وأهل الكتابين وسيجيء قوم من بعدي يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم، وقلوب الذين يعجبهم شأنهم»**. أخرجه البيهقي والطبراني، وعن أنس أنَّه سمعَ رجلًا يقرأ القرآن بهذه الألحان التي أحدثَ الناس فأنكرَ ذلكَ ونهى عنه، وهذا يدل على أنَّه محذور كبير وهو قراءة القرآن بالألحان التي يسلك بها مذاهب الغناء، وقد نص الأئمة رحمهم اللَّه على النهي عنه، فأمَّا إن خرج به التمطيط الفاحش الذي يزيد بسببه حرفًا أو ينقص حرفًا، فقد اتفقَ العلماء على

تحريمه، والله أعلم. انتهى

وقال السيوطي في «الإتقان»: وأمَّا القراءة بالألحان فنص الشافعي في المختصر على أنَّه لا بأس بها. وفي رواية الربيع أنَّها مكروهة، قال الرافعي فقال الجمهور ليست على قولين بل المكروه أن يفرط في المد، وفي إشباع الحركات حتى يتولد من الفتحة ألف، ومن الضمة واو، ومن الكسرة ياء، أو يدغم في غير موضع الإدغام فإن لم ينته إلى هذا الحد فلا كراهة.

وقال في زوائد الروضة: والصحيح أنَّ الإفراط على الوجه المذكور حرام يفسق به القارئ، ويأثم به المستمع لأنَّه عدل به عن نهجه القويم، قال: وهذا مراد الشافعي بالكراهة، قلت: وفيه حديث: «**اقرءوا القرآن بلحون العرب**» وساق بقية الحديث المذكور آنفًا. انتهى

وقال النووي في «التبيان»: وقال أقضى القضاة الماوردي في كتابِهِ «الحاوي» القراءة بالألحان الموضوعة إن أخرجت لفظ القرآن عن صيغته بإدخال حركات فيه أو إخراج حركات منه، أو قصر ممدود، أو مد مقصور، أو تمطيط يخفى به بعض اللفظ، ويلتبس به المعنى فهو حرام يفسق به القارئ ويأثم به المستمع، لأنَّه عدل به عن نهجه القويم إلى الاعوجاج، والله تعالى يقول:

﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ﴾ [الزمر: ٢٨] قال الماوردي: وإن لم يخرجه اللحنُ عن لفظهِ، وقراءتِه عن ترتيله كان مباحًا، لأنَّه زاد على ألحانهِ في تحسينه. قال النووي: هذا كلام أقضى القضاة.

ثم قال: وهذا القسمُ الأول من القراءة المحرمة مصيبة ابتلي بها بعض الجهلة الطغاة الغشمة الذينَ يقرءونَ على الجنائز وفي بعض المحافل وهذه بدعة محرمة ظاهرة، يأثمُ كل مستمع لها ويأثمُ كل قادر على إزالتها أو على النهي عنها إذا لم يفعل ذلك. انتهى من «التبيان».

وقال القسطلاني في «شرح البخاري»: وقد علم مما ذكرناه أن ما أحدثه المتكلفون بمعرفة الأوزان الموسيقية في كلام اللَّه تعالى من الألحانِ والتطريبِ، والتغني المستعمل في الغناء وفي الغزل على إيقاعات مخصوصة وأوزان مخترعة، من أشنع البدع، وأسوأ المنكرات، وأنَّه يوجب عليهم التعزير، وعلى سامعيهم النكير.

نعم إن كان التطريب والتغني مما اقتضته طبيعة القارئ، وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين، ولا تعليم، ولم يخرج عن حد القراءة به فهذا جائز. انتهى

* * *

تلخيص

والذي نستطيع استنتاجه من الأحاديث والآثار السالفة، وأقاويل العلماء يتلخص فيما يلي:

أولاً: تحسينُ الصوت والتطريب به حال القراءة مستحب ومطلوب شرعًا، والقارئ الذى لا يكون حسن الصوت بطبعه ينبغي أن يجتهد في تحسينه في حدود استطاعته وينبغي ألَّا يكون هذا موضع نزاع بين العلماء؛ لأنَّ الأحاديث الكثيرة، والآثار الشهيرة المستفيضة قد دلت على هذا دلالة واضحة لا إبهام فيها ولا غموض.

ثانيًا: القراءة بالألحان مختلف فيها، فمن العلماء من ذهبَ إلى حرمتها، ومنهم من ذهبَ إلى كراهتها، ومنهم من ذهب إلى جوازها واستحبابها.

ثالثًا: محل اختلاف العلماء في القراءة بالألحان إذا كانت في دائرة القواعد المحددة، والأحكام المقررة التي وضعها علماء التجويد، واستنبطوها من القراءة التي وصلت إلينا بطريق التواتر عن النبي ﷺ بحيث لا تخرج عنها قيد شعرة، أمَّا إذا خرجت القراءة بالألحان عن حدود هذه القواعد والأحكام، وترتب على القراءة بها الإخلال بهذه القواعد، والعبث بها، والانحراف

عنها، فقد أجمع العلماء قاطبة على تحريم القراءة بها.

والذي أراه أنَّه يجوز للقارئ أن يقرأ بأية نغمة من النغمات الموسيقية: الحجاز، النهاوند، العشاق، الصبا، العجم، الرست. إلى غير ذلك من النغمات. بشرط أن يحافظ كل المحافظة على قواعد التجويد، ولا ينحرف عنها يمنة ولا يسرة بحيث يجعل هذه القواعد في المحل الأول، ويؤثر رعايتها على رعاية قواعد الموسيقى، حتى إذا تعارض عنده -في بعض الأحيان- ضبط الكلمة القرآنية من ناحية التجويد، وضبطها من ناحية الموسيقى بحيث يتعسر عليه ضبط الكلمة من الناحيتين معًا. فإنَّه يؤثرُ ضبطها تجويدًا، ولو ترتب على ذلكَ الإخلال بقواعد الموسيقى، أمَّا إذا كانت القراءة بهذه النغمات تؤدي إلى الإخلال بأصول التلاوة وأحكام الأداء، فإنَّ القراءة بها تكون محرمة بإجماع المسلمين. يأثم القارئ بقراءتها، ويأثم المستمعُ بسماعها.

والله الموفق

* * *

الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها قارئ القرآن ومستمعه

لتالي القرآن الكريم آداب ينبغي أن يتحلى بها، ويحرص كل الحرص على المواظبة عليها، ولمستعمهِ كذلك.

وسنذكرُ -في هذا المبحث- آداب التالي، ثم نتبعها بآداب المستمع.

فأمَّا الآداب المتعلقة بالتالي فهي قسمان: قسم يطلب منه في جميع الأوقات والأحوال. وقسم يطلب منه في حال التلاوة.

فأمَّا القسمُ الأول - وهو الذي يأخذ نفسه به في جميع أوقاتِه وأحوالِه- فهو أن يكونَ للّه تعالى ذاكرًا، ولنعمِه شاكرًا، وعليه متوكلًا، وبه مستعينًا، وإليهِ راغبًا، وبه معتصمًا، وللموت مستعدًا، وأن يكون دائمًا خائفًا من ذنبِهِ، راجيًا عفو ربه، ويكون خوفه من اللّه في حال الصحة أغلب عليه، ويكون الرجاء عند حضور أجله أقوى في نفسه؛ لحسن الظن باللّه تعالى. قال ﷺ : **«لا يموتن أحدكم إلاَّ وهو يحسنُ الظنَّ باللّه»** أخرجه مسلم. أي أنَّه يرحمه ويغفر له. وأن يجعل نصب عينيه الزهد في دنياه، والورع في دينه، ومراقبته لمولاه في سره وجهره، في خلوته وجلوته، وأن يربأ بنفسه عن الانغماس في

المنهيات وتعاطي الشبهات، وأن يأخذ نفسه بالحلم والوقار، والرفق والأدب، والتواضع للفقراء، والتحبب إلى المساكين، وتجنب الكبر والعجب، والبعد عن المراء والجدل.

ويرحم اللَّه عبد اللَّه بن مسعود حيث يقول: ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهارِه إذا الناس مفطرون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون.

وقال عبد اللَّه بن عمرو: لا ينبغي لحامل القرآن أن يخوض مع من يخوض، ولا يجهل مع من يجهل، ولا يلغو مع من يلغو، ولكن يعفو ويصفح تعظيمًا لحق القرآن؛ لأنَّ في جوفه كلام اللَّه تعالى.

وعن الحسن البصري قال: إنَّ من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، وينفذونها بالنهار.

وينبغي لحامل القرآن أن يتخير من الأصدقاء من يعينه على الخير، ويدله على الصدق، ومكارم الأخلاق، وأن يكون ممن يؤمن شره ويرجى خيره، وأن يتفقه في أحكام القرآن ومعانيه، فيعرف محكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، مجمله ومفصله، ومطلقه ومقيده، وما فرضه اللَّه عليه، وندبه إليهِ،

فينتفع بما يقرأ، ويعمل بما يتلو.

فإنَّه لا يجملُ بحامل القرآن أن يتلو فرائضه، ويردد على لسانِه أحكامه وشرائعه، وهو لا يفهم ما يتلو، ولا يعي ما يقرأ، كما لا يحسن منه أن يُسأل عن فقه ما يتلو ولا يدري منه شيئًا.

وأمَّا الآداب المتعلقة بحال التلاوة فنذكر أهمها فيما يلي:

١- أن يكون على طهارة من الحدثين الأصغر والأكبر؛ لأنَّ قراءة القرآن أفضل الأذكار، وكان ﷺ لا يحب أن يذكر اللَّه إلَّا على طهارة، فإذا قرأ وهو محدث حدثًا أصغر جاز بإجماع المسلمين، ولكنه يكون تاركًا للأفضل، فقد ثبتَ أنَّه ﷺ لم يكن يمنعه من قراءة القرآن إلَّا الحدث الأكبر، فقد كان يقرأ متوضأ وغير متوضئ لبيان الجواز، وأمَّا الجنب والحائض فيحرُم عليهما قراءة القرآن سواء كان آية أم أقل منها ولو كلمة. نعم يجوز لهما النظرُ في المصحف، وإمرار القرآن على القلب.

٢- أن يتطيّب -يستعمل الطيب- ويلبس ما يتجمل به بين الناس من الثياب، فإنَّه مناج ربّه بكلامه.

قال الزركشي: لكونه بالتلاوة بين يدي المنعمِ، فإنَّ التالي للكلام بمنزلة المكالم لذي الكلام. انتهى

وقد ثبتَ أن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه كان يلبس الثياب

الحسنة النظيفة ويدهن بالطيب إذا قام إلى الصلاة أو قرأ القرآن.

٣- إذا أرادَ القراءة فلينظف فاه بالسواك تكريمًا للتلاوةِ؛ قال ﷺ: «**نظفوا أفواهكم فإنَّها مجاري القرآن**» أخرجه البزار. وقال يزيد بن أبي مالك: إنَّ أفواهكم طريق من طرق القرآن فطهروها ونظفوها ما استطعتم. قال العلماء: إنما ندب للقارئ استعمال السواك قبل القراءة تطهيرًا لفمه لقصده إلى التلفظ بحروف القرآن، وهو راجع إلى تعظيم القرآن.

وإذا كان فمه نجسًا بدم أو غيره فيكره له قراءة القرآن قبل غسله، وقيل تحرم القراءة حينئذ كمس المصحف باليد النجسة.

وإذا كان قد أكل ثومًا أو بصلًا قبل القراءة، فينبغي له أن يزيل رائحته ولا يقرأ إلَّا إذا زالت الرائحة بالكلية، قال قتادة: ما أكلتُ الثوم منذ قرأت القرآن.

٤- أن تكون القراءة في مكان نظيف مختار، ولهذا استحب جماعة من العلماء القراءة في المسجد لكونِه جامعًا للنظافةِ وشرف البقعة، ومحصلًا لفضيلة أخرى وهي الاعتكاف، فإنَّه ينبغي لكل جالس في المسجد أن ينوي الاعتكاف ليحصل له ثوابه.

وأمَّا القراءة في الطريق، فالمختارُ جوازها إذا تمكن القارئ من ضبط الحروف، والتدبر في المعنى وإلَّا كرهت، وروى

أبو داودَ عن أبي الدرداء أنَّه كان يقرأ في الطريق، وكان مالك يكره القراءة في الطريق مطلقًا.

٥- أن يستقبل القبلة في القراءة، فقد جاء في الحديث: «**خير المجالس ما استقبل القبلة**» رواه الطبراني. ويجلس خاشعًا بسكينة ووقار، مطرق الرأس، والأكملُ أن يكون جلوسه حال القراءة كجلوسه حال الصلاة، فلا يجلس متكئًا، ولا مستندًا على شيء كوسادة وحائط إلَّا لعذر كمرض، ولا يضعُ رجله على الأخرى.

ولو قرأ نائمًا أو مضطجعًا أو في فراشهِ أو غير ذلكَ من الأحوال جاز، وله أجر، ولكن دون الأول. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ...﴾ الآية [آل عمران: ١٩١]، وجاء أنَّه ﷺ كان يقرأ القرآن ورأسه في حجر عائشة رضي الله عنها. وعن أبي موسى الأشعري قال: إنِّي أقرأ القرآن في صلاتي وأقرأ على فراشي. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إنِّي لأقرأ حزبي من القرآن وأنا مضطجعة على السرير.

٦- إذا أراد الشروع في القراءة استعاذ فقال: أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم. ؛لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]. أي إذا أردتَ القراءة فاستعذ. والتعوذ مستحب وليس بواجب. وهو مستحب لكل قارئ سواء

كان في الصلاة أم خارجها، وسواء ابتدأ القراءة من أول السورة أم من وسطها، ويقول بعد تعوذِه: «بسم اللَّه الرحمن الرحيم» فإن ابتدأ قراءته من أول السورة وجبَ الإتيانُ بالبسملة عند جميع القراء إلَّا أول سورة براءة فلا يأتي بها إجماعًا.

وأمَّا إن ابتدأ من وسط السورة فإنَّه مخير بين الإتيان بالبسملة وتركها.

٧- إذا شرعَ في القراءة فليقرأ بتفكر وتدبر، وروية وإمعان، حتى يلين قلبه، وتخشع نفسه، وتستولي على مشاعره وأحاسيسه هيبة اللَّه وخشيته، وجبروته وسطوته، وجلاله وسلطانه، وقهره وبطشه، فيكون لذلك أثره في جوارحه، ونتيجته في سلوكه.

وعلى القارئ أن يستحضرَ في ذهنه أنَّه بين يدي مولاه يناجيه بتلاوة كلامِه، ويتقرب إليه بقراءة خطابه.

وعليه أن يشغل قلبه في معنى ما يلفظ به، فيعرف ما ترمى إليه الآيات، ويتأملُ أوامرها وزواجرها، ثم يعرض عمله عليها، فإن كان على شيء من التقصير أقبل بكل جوارحه على ربه، واستغفر من ذنبه، وإن كان سالكًا سبيل الجادّة حمد اللَّه تعالى وسأله دوام نعمة التوفيق والتسديد. والتدبر هو المقصود الأعظم من القراءة،

والمطلوب الأهم في التلاوة، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢] وقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

قال العارف بالله سيدي إبراهيم الخواص: دواء القلب في خمسة أشياء، قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين.

ويستحبُّ للقارئ أن يردد ما يشاء من الآيات بقصد التأمل في معناها، والتدبر في مغزاها، فقد ثبتَ عنه ﷺ أنَّه قام بآية يرددها حتى الصباح وهي: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] رواه النسائي وابن ماجه.

وعن تميم الداري: أنَّه كرر هذه الآية حتى أصبح وهي: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

وعن سعيد بن جبير أنَّه أخذ يكرر هذه الآية في الصلاة بضعًا وعشرين مرة وهي: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وردد الحسن البصري في الصلاة: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤] مرارًا، فسئل في ذلك فقال: أرى فيها

معتبرًا، ما أرفع طرفًا ولا أرده إلَّا وقع على نعمة، وما لا يُعلم من نعم اللَّه تعالى أكثر. وروي ترديد الآيات عن كثير من السلف.

ويستحب البكاء عند تلاوة القرآن وهو صفة العارفينَ وشعار عباد اللَّه الصالحين. قال ﷺ: «**اقرءوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا**» أخرجه ابن ماجه.

وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلًا رقيق القلب إذا قرأ القرآن لا يملك عينيه من البكاء، وقد ذكرنا حديث ابن مسعود في قراءته على رسول اللَّه وبكاء رسول اللَّه ﷺ عند قراءته.

وعن عمر بن الخطاب أنَّه صلى بالجماعة الصبح فقرأ سورة يوسف فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته، وسمعوا بكاءه من وراء الصفوف.

وقرأ عبد اللَّه بن عمر: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١] فلمَّا أتى على قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] بكى حتى انقطعَ عن قراءة ما بعدها. وعن الحسن بن صالح أنَّه قام ليلة فقرأ: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبأ: ١] فما إن قرأ منها بضع آيات حتى غشي عليه، ثم عاد فعاد إليها فغشي عليه، فلم يختمها حتى طلع الفجرُ.

ومرّ النبي ﷺ بشاب يقرأ: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧] فوقف واقشعر وخنقته العبرة، ثم أخذ يبكي

ويقول: «ويحي من يوم تنشق فيه السماء. فقال له الرسول ﷺ: **«والذي نفسي بيده لقد بكت السماء لبكائك»** والآثار في هذا كثيرة.

قال الغزالي: البكاء مستحب مع القراءة، والطريق في تحصيله أن يحضر قلبه الحزن، بأن يتأمل ما في القرآن من الوعيد والتهديد، والمواثيق والعهود، ثم يتأمل تقصيره في ذلك، فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر الخواص، فليبكِ على فقد ذلك منه، فإنَّه من أعظم المصائب.

٨- إذا مرَّ بآية وعد ورحمة وقف عندها، وتأمل معناها، وفرح بما وعده اللّه منها، واستبشر بذلك ورغب إلى اللّه تعالى، وسأله من فضله الجنة.

وإذا مرَّ بآية عذاب استعاذَ باللّه تعالى من الشر، واستجارَ به من العذاب، وأشفقَ على نفسهِ.

وإذا مرَّ بآية استغفار، استغفرَ من ذنبهِ، أو بآية توبة رجعَ إلى ربّه، أو بآية تنزيه للّه نزّه وسبّح، أو بآية دعاء طلب وتضرع، أو بآية فيها ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام صلى عليه، ويتأكد ذلك عند قراءة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وإذا مرَّ بآية سجدة سجد إن كان متوضئًا ثم استأنفَ قراءته.

فعن حذيفةَ بن اليمان رضي الله عنه قال: صليتُ مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلتُ يركع عند المائة، ثم مضى فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى ثم افتتح آل عمران فقرأها، وكان يقرأ ترسلًا -بتؤدة وتأن- وإذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوذ تعوذّ. رواه مسلم.

قال العلماء: ويستحب هذا السؤال والاستعاذة والتسبيح لكل قارئ سواء كان في الصلاة أم خارجها.

٩- أن يجتنبَ في حال قراءتهِ ما ينافي احترامَ القرآن، ويخل بقدسيته، من الضحك، واللَّهو، واللغو، ومن الكلام لغير حاجة؛ فإنَّ ذلكَ استخفافًا بالقرآن، كما لو قطعَ مكالمة أحد وحدث غيره ممن هو دونه، فإنَّ فيه استخفافًا بذلك، ولأنَّ في إتباع القرآن بعضه بعضًا بالقراءة من الرونق والبهجة، ما ليس في تقطيعه، ففي التقطيع سلب زينة القرآن، فلذلك كان مكروهًا.

فإن كان ثم حاجة للكلام بأن أرتجَ على القارئ ونسي بقية الآية التي يقرأ فيها فلا بأس من سؤال مَن بجوارِه عن بقية الآية. أو أرادَ الوقف على كلمة ولا يدري أيجوزُ الوقف عليها أم لا؟ فلا مانع من السؤال عن حكم الوقف عليها.

ويجتنب أيضًا العبث باليد وغيرها، والنظر إلى ما يلهي ويبدد

الذهن، وأقبح من هذا كله النظر إلى ما لا يحل النظر إليه.

١٠- إذا تثاءب يستحب أن يمسك عن القراءة لأنَّه مخاطب ربّه ومناج له، والتثاؤب من الشيطان، قال مجاهد: إذا تثاءبت وأنت تقرأ القرآن فأمسك عن القراءة إجلالًا للقرآن، حتى يذهب تثاؤبك.

وإذا عطس في حال القراءة فيستحب أن يقول: الحمد للّه. ولو عطس غيره وهو يقرأ في غير الصلاة، وقال: الحمدُ للّه، يستحبُّ للقارئ أن يشمته ويقول له: يرحمك اللّه. وهذا إذا لم يكن في المجلس من يشمته غير القارئ. فإذا كان في المجلس من يشمته فالأفضل وصل القراءة وترك التشميت.

١١- الأفضل أن يقرأ على ترتيب المصحف، فإذا انتهى من سورة النحل مثلًا يستحبُّ أن يقرأ سورة الإسراء، وهكذا سواء قرأ في الصلاة أم في غيرها. ودليل هذا أنّ ترتيب المصحف إنما جعل هكذا لحكمة فينبغي أن يحافظ على هذا الترتيب في قراءته، إلّا فيما ورد الشرع باستثنائه كصلاة الصبح يوم الجمعة، فإنَّه يقرأ في الركعة الأولى سورة السجدة، وفي الثانية ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ وصلاة العيد فإنَّه يقرأ في الركعة الأولى «ق» وفي الثانية «القمر» أو يقرأ في الأولى ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ وفي الثانية «الغاشية» وهكذا فلو خالف ترتيب المصحف فقرأ سورة لا تلي الأولى، أو قرأ

سورة ثم قرأ ما قبلها جاز ولكن ترك الأفضل.

فقد جاء عن عمر رضي الله عنه أنَّه قرأ في الركعة الأولى من الصبح «الكهف» وفي الثانية «يوسف». وقرأ النبي ﷺ في الركعة الأولى «النساء»، وفي الثانية «آل عمران» لبيان الجواز، وهذا الحكم بالنسبة للسور أمَّا بالنسبة للآيات فقد ذكرنا في المبحث السادس أن مثل ذلك لا يجوز فارجع إليه.

١٢- قراءة القرآن في المصحف أفضل من القراءة عن ظهر قلب، لأنَّ النظر في المصحف عبادة مطلوبة، فتجتمع القراءة والنظر. وروي عنه ﷺ أنَّه قال: **«أعطوا أعينكم حظها في العبادة»** قالوا: وما حظها من العبادة؟ قال: **«النظرُ في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه»** أخرجه البيهقي وغيره، وثبت أن كثيرًا من الصحابة كانوا يؤثرونَ القراءة في المصحف، ويكرهونَ أن يمر يوم دون أن ينظروا في المصحف.

قال القرطبي: فائدة القراءة من الحفظ؛ قوة الحفظ، وثبات الذكر وهي أمكن للتفكر فيه، وفائدة القراءة في المصحف التثبت حتى لا يخلط بزيادة حرف، ولا إسقاط حرف، أو تقديم آية أو تأخيرها، وكان أبو موسى يقول: إنِّي لأستحي ألَّا أنظر كل يوم في عهد ربي مرة. انتهى

وقال الزركشي في «البرهان»: -بعد أن حكى القول الأول وهو أن القراءة في المصحف أفضل- والقول الثاني: أن القراءة على ظهر القلب أفضل واختاره عز الدين بن عبد السلام فقال في أماليه: قيل القراءة في المصحف أفضل لأنَّه يجمع فعل الجارحتين، وهي اللسان والعين، والأجر على قدر المشقة. وهذا باطل، لأنَّ المقصود من القراءة التدبر لقوله تعالى: ﴿لِيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩] والعادة تشهد أنَّ النظر في المصحف يخل بهذا المقصود فكان مرجوحًا.

والثالث التفصيل: وهو ما حكاه النووي حيث قال في التبيان: «ولو قيل: إنَّه يختلف باختلاف الأشخاص فتختار القراءة في المصحف لمن استوى خشوعه وتدبره، في حالي القراءة في المصحف وعن ظهر قلب، وتختار القراءة عن ظهر القلب لمن يكمل بذلك خشوعه، ويزيد على خشوعه وتدبره لو قرأ في المصحف لكان هذا قولًا حسنًا، والظاهرُ أنَّ كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل» انتهى.

١٣- إذا ابتدأ من وسط السورة فالأفضل أن يبتدىء من أول القصة، أو من أو الكلام المرتبط بعضه ببعض، وإذا أرادَ الوقف على غير آخر السورة، فالأحسن أن يقف عند ما تنتهي القصة أو

ينتهي الكلام المرتبط بعضه ببعض، ولا يتقيد بالأجزاء والأحزاب والأعشار. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٢٤] الذي بعده ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٢٤] وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢] الذي يليه ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ﴾ [يوسف: ٥٣] وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥] الذي بعده ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ [النمل: ٥٦] في سورة النمل، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٠] الذي يليه ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٣١] وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٢] الذي بعده ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣] إلى غير ذلك.

فلا يحسن أن يختم على قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ولا أن يتبدئ بقوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ ولا أن يختم عند ﴿ٱلْخَآئِنِينَ﴾ ولا يبتدئ بقوله: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ﴾ وهكذا لشدة التعلق والارتباط، بل يختم عند قوله ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢] ويبدأ بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] أو يختم على ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٢٤] ويبتدئ بقوله ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ [النساء: ٢٥] وكذلك ينتهي عند قوله ﴿إِنَّ

رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف:٥٣] ثم يبتدىء -إذا أراد- بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ [يوسف:٥٤] وهكذا.

فإنَّ الوقف على آخر الجزء أو آخر الحزب، والابتداء بأول الجزء أو أول الحزب، غير واجب ولا مستحسن شرعًا، إلَّا حيث يكون الكلام تامًّا يحسن الوقف عليه، والابتداء بما بعده، ولهذا المعنى قال العلماء: قراءة سورة قصيرة بكمالها أفضل من قراءة بعض سورة طويلة بقدر القصيرة، فإنَّه قد يخفى الارتباط على بعض الناس في بعض الأحيان.

قال العلماء: وإذا ابتدأ بقراءة أحد القراء، فينبغي أن يستمر على القراءة بها ما دام الكلام مرتبطًا، فإذا انقضى ارتباطه فله أن يقرأ بقراءة أخرى، والأولى دوامه على القراءة الأولى، ما دام في هذا المجلس واللّه أعلم.

١٤- إذا قرأ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ [التين:١] وختمها استحب له أن يقول عقب ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين:٨] بلى وأنا على ذلك من الشاهدين. وإذا قرأ سورة «القيامة» وختمها، فليقل استحسانًا: بلى هو قادر. وإذا ختم ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك:١] فليقل اللّه ربُّ العالمين. وإذا قرأ سورة «الرحمن» فليقل عقب قراءة كل آية من هذه الآيات ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا

﴿تُكَذِّبَانِ﴾ ولا بشيء من نعمك نكذب ربنا فلك الحمد. وإذا قرأ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ فليقل: آمنت بالله. وإذا قرأ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ فليقل ثلاث مرات: سبحان ربي الأعلى. وإذا قرأ ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس:٨] فليقل: اللَّهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خيرُ من زكاها، أنت وليها ومولاها وإذا قرأ ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه:١١٤] قال: رب زدني علمًا. وإذا ختم سورة «البقرة» قال: آمين.

وكل هذا على سبيل الاستحباب، وينبغي أن يقول هذا الذي ذكرناهُ بصوت منخفض عن صوت القراءة ليتميز القرآن عمّا ليس بقرآن. واللَّه أعلم.

وأمّا الآداب المطلوبة من مستمع القرآن الكريم فنذكر أهمها فيما يلي:

١- الإصغاء الكامل، والإنصات التام ليحرز الرحمة التي وعد اللَّه بها المنصتين لكلامه في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

٢- الإقبال بكل قلبه على القراءة، وصرف جميع مشاعره وحواسه لما يسمع من التلاوة، مطرحًا وراء ظهره كل ما يشغله عنها، ويصرفه عن متابعتها، من اللَّهو، والمزح، والعبث،

والتحدث مع الغير، وشرب الدخان، إلى غير ذلك مما يخل بتوقير كلام اللّه وإجلاله، ويلهي عن التشرف بسماع خطابه.

ذلك أنَّ مجلس القرآن ما هو إلّا مجلس تبتل وطاعة، وتخضع وضراعة، فهو موطن تنزل الرحمات الإلهية، والتجليات الصمدانية، ومهبط الملائكة المقربين، وملتقى عباد اللّه الصالحين، فلا يليق بالمؤمن أن يفعل فيه ما ينافيه من ساقط الكلام، ولغو القول، وسيء الحديث، وما ينفر الملائكة من حضوره، فإن تنفير الملائكة من حضور هذا المجلس حرمانٌ لحاضريه من خير كثير، ونفع جليل، فالمؤمن الكامل هو الذي يعرف لهذا المجلس حقه، ويقدر له قدره، ويعمل على صيانته من الهزل والعبث، ويترفع به عن الهذيان والمجون.

ومما ينبغي التنبه له أن مجلس القرآن، لا فرق فيه بين أن يكون القارئ في نفس المجلس، أو يكون في الإذاعة، فكلاهما مجلس يتلى فيه كلام اللّه تعالى، ويتعبد فيه بسماعه، فحرمة المجلسين واحدة.

٣- التأمل والتدبر في معاني الآيات، وقوة تناسقها وتعانقها، والتفهم لأوامرها وزواجرها، حتى تصفو بذلك نفسه، ويرق حسه، فينقاد لأوامر اللّه فينفذها، ولنواهيه فيجتنبها.

وحينئذ يزداد بسماع الآيات إيمانه، ويكمل بها يقينه، فيكون

ممن ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ . . .﴾ الآية [الأنفال: ٢]. ويكون حقيقًا بهذا الجزاء العظيم، والعطاء الجسيم، في قوله تعالى: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤].

٤- إذا طرق سمعه آية رحمة سأل واستبشر، أو آية عذاب أشفق وتعوذ، أو آية تنزيه نزّه وعظّم، أو آية دعاء طلب وتضرع، أو آية استغفار أناب واستغفر، أو آية توبة رجع إلى اللَّه تعالى وندم أو آية فيها ذكر المصطفى ﷺ صلّى عليه ومجد، ويتأكد ذلك عند سماع هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وإذا سمعَ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] قال: ولا بشيء من نعمك نكذب ربنا فلك الحمدُ. وإذا سمعَ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦] قال: آمنتُ باللَّه. وإذا سمعَ آية سجدة سجد إن كان متوضئًا ثم يعود إلى الإصغاء إلى آخر ما سبق في آدابِ التالي، فالتالي والمستمعُ سواء في كل هذا.

٥- البكاء عند القراءة، والتباكي لمن لم يبك فعلًا، مع الحزن والخشوع، وطريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن، ومن الحزن ينشأ البكاء، وطريق إحضار الحزن أن يتأمل السامع

ما في القرآن من الوعيد والتهديد، ثم يتأمل في امتثال أوامره ونواهيه، فحينئذ يحزن لا محالة ويبكي فإن لم يحضره حزن ولا بكاء كما يحضر لأهل النفوس الصافية، فليبكِ على فقد ذلك منه، فإنَّه من أشد البلايا والمحن.

قال ﷺ : **«إن هذا القرآن أنزل بحزن فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا»** وقد مدح اللَّه البكائينَ في كتابهِ مخبرًا عن الأنبياء ومن حذا حذوهم فقال: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩] وقال: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

والذينَ أوتوا العلم هم أهل الخشية، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] فأعلمهم باللَّه أشدهم له خشية، ولهذا قال ﷺ : **«إني لأعلمكم باللَّه وأخشاكم له»**. وكان ﷺ يصلي ولصدرِه أزيز كأزيز المرجل من البكاء.

والأزيز: الصوت. والمرجل بكسر الميم وفتح الجيم: القدر.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣] مدحهم اللَّه تعالى لبكائهم حين سمعوا كلامه.

وفي الصحيحين أنَّه ﷺ قال لابن مسعود: «**اقرأ عليّ**»، فقال له: أقرأ عليك وعليك أنزل، فقال له الرسول: «**إني أحبُّ أن أسمعه من غيري**»، فقرأ عليه سورة النساء، حتى إذا وصل قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال له الرسول: «**حسبك**»، ثم نظر ابن مسعود إلى رسول اللَّه ﷺ فإذا عيناه تذرفان.

قال القرطبي في «التذكار»: قال علماؤنا: بكاء النبي ﷺ إنما كان لعظيم ما تضمنته الآية من هول المطلع، وشدة الأمر، إذ يؤتى بالأنبياء -عليهم السلام- شهداء على قومهم بالتصديق والتكذيب ويؤتى به ﷺ شهيدًا على أمتِهِ وعلى غيرهم.

ولهذا قال العلماء: يجبُ على القارئ إحضار قلبه، والتفكر عند قراءتِه، لأنَّه يقرأ خطاب اللَّه، الذي خاطب به عباده، فمن قرأه ولم يتفكر فيه، وهو أهل لأن يدركه بالتفكر والتذكر، كان كمن لم يقرأه، ولم يصل إلى غرض القراءة من قراءته، فإنَّ القرآن يشتمل على آيات مختلفة الحقوق فإذا ترك التفكر والتدبر فيما قرأ استوت الآيات كلها عنده، فلم يرع لواحدة من حقها. فثبت أن الفكر شرط في القراءة يتوصل به إلى إدراك الأغراض والمعاني التي تضمنها القرآن، وما يحتوي عليه من العجائب، وقد قال

تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢] وقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩] انتهى.

وقال ﷺ: «**عينان لن تمسهما النار، عين بكت من خشية اللَّه، وعين باتت تحرس في سبيل اللَّه**»، وقال: «**لا يلجُ النار رجل بكى من خشية اللَّه تعالى حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل اللَّه ودخان جهنم**» أخرجهما الترمذي.

وقال: «**حرمت على النار عين دمعت من خشية اللَّه، وحرمت على النار عين سهرت في سبيل اللَّه، وحرمت على النار عين غضت عن محارم اللَّه**» أخرجه النسائي.

وعن مالك بن دينار قال: الباكي من خشية اللَّه تهتز له البقاع التي يبكي عندها، وتغمره الرحمة ما دام باكيًا.

وفي بعض الآثار: إذا بكى العبدُ من خشية اللَّه تعالى تحاتت عنه ذنوبه كيوم ولدته أمه.

وقصارى القول أننا نهيب بالمسلمين جميعًا في مشارق الأرض ومغاربها أن يلتزموا حدود الدين والأدب في سماع القرآن الكريم، وأن يراعوا ما لمجلسهِ من قداسة وحرمة، وأن يقتفوا آثار سلفهم الصالحين في تلاوة القرآن أو سماعهِ فتعلوهم السكينة، وتغشاهم الرحمة، وتتم لهم النعمة.

ولقد كان أصحاب رسول اللّه ﷺ، والصدرُ الأول من التابعين وأتباعهم، مثلًا عليًا يحتذى بهم في سماع القرآن الكريم، ورعاية حرمة مجلسه، بجلال الصمت، وجمال السمت، وكمال الخشوع والتأثر، والوجل والتدبر، يستولي على قلوبهم عميق التفكر في آياتِه، ودقيق التأمل في سمو عباراتِه، ورقيق إشاراته، والاتعاظ بأوامره وزواجره، والاعتبار بمواعظه وعبره، مؤمنين بأن ما يسمعونه هو كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على سيد المرسلين، فوعاه فؤاده، ونطق به لسانه، وبلّغه إلى الأمة بكلماته وحروفه، وبالكيفية التي لقنها إيّاه جبريل عليه السلام عن رب العزة -جل جلاله-، فلم يزد الرسول الأمين فيه حرفًا، ولم ينقص منه حرفًا، ولم يبدل فيه كلمة بكلمة، ولا عبارة بأخرى، ولم يحد فيه عن الكيفية التي لُقِّنَها قيد شعرة، وموقنين بأنَّ اللّه تعالى أنزل هذا الكتاب فارقًا بين الحق والباطل، والضلالة والهدى، مرشدًا الأمة إلى أكرم سبيل، وأنبل غاية، محذرًا لها عمّا يرديها من طرق الغواية، وينأى بها عن سنن الرشد والهداية، مبشرًا بالوعد الصادق من انقاد لأحكامِه، وسار على نهجه، منذرًا بالوعيد القارع والتهديد البالغ من انحرف عن جادته، وانثنى عن رشاده. قاصدًا من أخبار الأولين وأنباء السابقين ما فيه عظة وعبرة وذكرى

وتبصرة، مخبرًا عمّا أعدَّ اللّه لأصفيائهِ من نعيم مقيم، ولأعدائهِ من عذاب أليم.

فكانوا -من أجل ذلك كله- إذا سمعوا آياتِه تتلى، وكلماتِه تلقى تخشع أصواتهم لهيبتها، وتخفق قلوبهم لجلالها وقوتها، وتذرف عيونهم الدمع ساخنًا، فرقًا من تحذيرها، ورهبة من إنذارها، فيبادرونَ بالإقبال على ربهم بعمل الخير، وخير العمل، ويلهجون بالاستغفار من ذنوبهم، يحدوهم الأمل في سعة رحمة اللّه إلى كرمِه وإحسانِه، ويدفعهم الرجاء في عظيم فضله إلى عفوه ورضوانه.

واللّه سبحانه واسع الرحمة، عظيم الفضل، لا يرد لسائل سؤله، ولا يخيب لراج أمله، ولا يضيع أجر العاملين.

* * *

وكان الفراغ من تأليف هذا الكتاب يوم الخميس المبارك ٢٢ من شهر ربيع الآخر سنة ألف وثلاثمائة وثمانين هجرية ١٣٨٠ هـ (الموافق ١٣ من شهر أكتوبر سنة ألف وتسعمائة وستين ميلادية ١٩٦٠ م) وصلّى اللّه وسلّم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين والحمدُ للّهِ ربِّ العالمين.

* * *

دعاء

ختم القرآن الكريم

المأثور عن الإمام زين العابدين

وهو الإمام الجليل العابد السجاد علي زين العابدين ابن الإمام أبي عبد اللّه الحسين السبط رضي الله عنهما. وولد بالمدينة يوم الخميس خامس شعبان سنة ٢٧ هجرية ولقب زين العابدين لكثرة عبادته؛ فقد كان يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة؛ وكان طويل السجود ولذا لقب «بالسجاد». وكان عظيم الهدى والسمت، شديد التواضع، كثير الخوف من اللّه، جوادًا شجاعًا، فصيحًا بليغًا، وتوفي بالمدينة سنة ٩٢ هجرية. ودفن بالبقيع رضي الله عنه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا وَوَالِدِيْنَا، وَمَشَائِخَنَا، وَمُعَلِّمِينَا، وَوَالِدِيهِمْ والْحَاضِرِينَ، وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ، مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الْمُفْلِحِينَ، الْمُنْجِحِينَ[١] الفَائِزِينَ، الْبَارِّينَ النَّعِمِينَ[٢]،

---

(١) المنجحين: أي الصائرين ذوي نجح وظفر.

(٢) النعمين: أي النضرين، يقال: نعم العود - كفرح - أخضر ونضر.

الفَرِحِينَ، الْمَسْرُورِينَ، الْمُسْتَبْشِرِينَ، الْمُطْمَئِنِّينَ، الآمِنِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ) صَدَقَ اللَّهُ العَلِيُّ العَظِيمُ، وَبَلَّغَ رَسُولُهُ النَّبِيُّ الْوَفِيُّ الْكَرِيمُ، وَنَحْنُ عَلَى مَا قَالَ رَبُّنَا، وسَيِّدُنَا، وَمَوْلَانَا، وَخَالِقُنَا، وَرَازِقُنَا، وَبَاعِثُنَا، وَوَارِثُنَا، وَنَصِيرُنَا، وَمَنْ إِلَيْهِ مَصِيرُنَا، وَوَلِيُّ النِّعْمَةِ عَلَيْنَا، مِنَ الشَّاهِدِينَ، وَلَهُ مِنَ الذَّاكِرِينَ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَعَلَى أَصْحَابِهِ الْمُنْتَخَبِينَ، وَعَلَى جَمِيعِ الملائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ والمُرْسَلِينَ، إِنَّ رَبَّنَا حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

* * *

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَمِدَ فِي الْكِتَابِ نَفْسَهُ، وَاسْتَفْتَحَ بِالْحَمْدِ كِتَابَه، وَاسْتَخْلَصَ الْحَمْدَ لِنَفْسِهِ، وَجَعَلَ الحَمْدَ دَلِيلًا عَلَى طَاعَتِهِ، وَرَضِيَ بِالحَمْدِ شُكْرًا لَهُ مِنْ خَلْقِهِ.

الحَمْدُ لِلَّهِ بِجَمِيعِ مَحَامِدِهِ، المُوجِبَةِ لِمزِيدِهِ، المُؤَدِّيَةِ لِحَقِّهِ، المُقَدَّمَةِ عِنْدَهُ، المَرْضِيَّةِ لَهُ، الشَّافِعَةِ لأَمْثَالِهَا[1]، وَنَسْأَلُهُ أَنْ

---

(١) أي: التي تصير أمثالها شفعًا لها.

يُصَلِّيَ وَيُسَلِّم عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ بِأَفْضَلِ الصَّلَواتِ كُلِّهَا، وَأَنْ يَحْبُوَهُ بِأَشْرَفِ مَنَازِلِ الجِنَانِ وَنَعِيمِهَا وَشَرِيفِ المَنْزِلَةِ فيها[1] - يَا كريمُ.

(اللَّهُمَّ) إِنَّكَ أَحْضَرْتَنَا خَتْمَ كِتَابِكَ الَّذِي عَظَّمْتَ حُرْمَتَهُ، وَجَعَلْتَهُ مُهَيْمِنًا عَلَى كلِّ كِتَابٍ أَنزَلْتَهُ، وَقُرْآنًا أَعْرَبْتَ فِيهِ عَنْ شَرَائِعِ أَحْكَامِكَ، وَفُرْقَانًا فَرَّقْتَ بِهِ بَيْنَ حَلاَلِكَ وَحَرَامِكَ، وَكِتَابًا فَصَّلْتَهُ لِعِبَادِكَ تَفْصِيلًا، وَوَحْيًا أَنْزَلْتَهُ عَلى قَلْبِ نَبِيِّكَ سَيِّدِنا محمدٍ ﷺ بِالْحَقِّ تَنْزِيلًا، وَجَعَلْتَهُ نُورًا تَهْدِي مِنْ ظُلَمِ الضَّلَالِ باتِّبَاعِهِ، وَشَفِيعًا لِمَنْ أَنْصَتَ بِفَهْمِ التَّصْدِيقِ إلى اسْتِمَاعِهِ، وَمِيزَانَ قِسْطٍ لَا يَحِيفُ (ولا يعدل) عَنِ الحَقِّ (منطقُ) لِسَانِه[2]، وَضَوْءَ هُدًى لَا تَخْبِي[3] الشُّبُهَاتُ نُورَ بُرْهَانِهِ، وَعَلَمَ نَجَاةٍ لَا يَضِلُّ مَنْ أَمَّ قَصْدَ سُنَّتِهِ، وَلَا تَنَالُ يَدُ الْهَلَكَةِ مَنْ تَعَلَّقَ بِعُرْوَةِ عِصْمَتِهِ- يا كَرِيمُ.

(اللَّهُمَّ) فَإِذَا بَلَّغْتَنَا خَاتَمَتَهُ، وَحَبَّبْتَ إِلَيْنَا تِلاوَتَهُ، وَسَهَّلْتَ عَلَى حَوَاشِي أَلْسِنَتِنَا حُسْنَ إِعَادِتِه، فَاجْعَلْنَا يَا رَبِّ يَا اللَّهُ مِمَّن

---

(١) المنازل: الأمكنة. والمنزلة: الرتبة والدرجة.

(٢) في الأصل «لا يحيف عن الحق لسانه» فزدنا ما تراه لاقتضاء اللغة والمعنى والنسق إياه. ولا يحيف: أي لا يظلم.

(٣) لا تطفئ: من أخبيت النار أطفيتها.

يَتْلُوهُ حَقَّ تِلاوَتِه، وَيَرْعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ، وَيَدِينُ لكَ باعْتِقَادِ التَّصْدِيقِ بِمُحْكَم بَيِّنَاتِه، وَيَفْزَعُ إِلَى الإِقْرَارِ بِمُتَشَابِهِ آيَاتِهِ، وَالاعْتِرافِ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِكَ، لَا تُعَارِضُنَا الشُّكوكُ فِي تَصْدِيقِهِ، وَلَا يَخْتَلِجُنَا الزَّيْغُ عَنْ قَصْدِ طَرِيقِهِ- يَا كَرِيمُ.

* * *

(اللَّهُمَّ) وَكَمَا جَعَلْتَ قُلوبَنَا مُذَلَّلَةً بحَمْلِهِ، وَعَرَّفْتَنَا، مِنْكَ شَرَفَ فَضْلِهِ، فَاجْعَلْنَا يَا رَبِّ يَا اللَّهُ مِمَّنْ يَعْتَصِمُ بِحَبْلِهِ وَيَأْوِي مِنَ الشُّبُهَاتِ إِلَى عِصْمَةِ مَعْقِلِهِ، وَيَسْكُنُ فِي ظِلِّ جَنَاحِ هِدَايَتِهِ، وَيَهْتَدِي بِبَلَجِ إِسْفَارِ ضَوْئِهِ، وَيَسْتَصْبِحُ بِضَوْءِ شُعْلَةِ مِصْبَاحِهِ، وَلَا يَلْتَمِسُ الْهُدَى مِنْ غَيْرِه- يَا كَرِيمُ.

* * *

(اللَّهُمَّ) وَكَمَا نَصَبْتَهُ عَلَمًا لِلدلَالَةِ عَلَيْكَ، وَأَنْهَجْتَ بِهِ سَبِيلَ مَنْ نَزَعَاتُهُ إِلَيْكَ، فَاجْعَلْهُ وَسِيلَةً لَنَا إِلَى أَشْرَفِ مَنَازِلِ الكَرَامَةِ، وَسَبَبًا نَحْوِي بِهِ النَّجَاةَ فِي غُرْبَةِ القِيَامَةِ، وَسُلَّمًا نَعْرُجُ فِيهِ إِلَى مَحَلِّ السَّلامَةِ، وَذَرِيعَةً نَقْدُمُ بِهَا إِلَى نَعِيم دَارِ الْمُقَامَةِ - يَا كَرِيمُ.

* * *

(اللَّهُمَّ) وَاجْعَلْهُ لَنَا فِي ظُلَم اللَّيَالِي مُؤْنِسًا، وَلأَقْدَامِنَا عَنْ نَقْلِهَا إِلَى الْمَعَاصِي حَابِسًا، وَلأَلْسِنَتِنَا عَنِ الخَوْضِ فِي البَاطِلِ مِنْ

غَيْرِ مَا آفَةٍ مُخْرِسًا، وَلِجَوَارِحِنَا عَنْ اجْتِرَاحِ السَّيِّئَاتِ زَاجِرًا، وَلِمَا طَوَتِ الغَفْلَةُ عَنَّا مِنْ تَصَفُّحِ اعْتِبَارِهِ نَاشِرًا، حَتَّى تُوَصِّلَ إِلَى قُلُوبِنَا فَهْمَ عَجَائِبِ أَمْثَالِهِ، وَزَوَاجِرِ نَهْيِهِ الَّتِي ضَعُفَتِ الْجِبَالُ عَنْ احْتِمالِهِ - يا كَرِيمُ.

(اللَّهُمَّ) وَاجْبُرْ بِهِ خَلَّتَنَا بالْغِنَى مِنْ عُدْمِ الإِمْلَاقِ، وَسُقْ إِلَيْنَا بِهِ رَغَدَ الْعَيْشِ وَخِصْبَ السَّعَةِ فِي الأَرْزَاقِ، وَاعْصِمْنَا بِهِ مِنْ هَفْوَةِ الْكُفْرِ وَدَوَاعِي النِّفَاقِ، وَجَنِّبْنَا بِهِ الضَّرَائِبَ[1] المذْمُومَةَ وَمَدَانِئَ[2] الأَخْلَاقِ، حَتَّى تُطَهِّرَنَا مِنْ كلِّ دَنَسٍ بِتَطْهِيرِهِ، وَتَقْفُوَ بِنَا آثَارَ الَّذِينَ اسْتَضْبَحُوا بِنورِهِ، وَلَمْ يُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَيَقْتَطِعَهُمْ بِخَدَائِعِ غُرُورِهِ - يا كَرِيمُ.

* * *

(اللَّهُمَّ) وَكما أَكْرَمْتَنَا بِخَتْمِ كِتَابِكَ، وَنَدَبْتَنَا إِلَى التَّعَرُّضِ لِجَزِيلِ ثَوَابِكَ، وَحَذَّرْتَنَا عَلَى لِسَانِ وَعِيدِهِ أَلِيمَ عَذَابِكَ، فَاجْعَلْنَا يَارَبِّ يَا اللَّهُ مِمَّنْ يُحْسِنُ صُحْبَتَهُ فِي مَوَاطِنِ الخَلَوَاتِ، وَيُنَزِّهُ قَدْرَهُ عَنْ مَوَاقِفِ التُّهَمَاتِ، وَيجِلُّ حُرْمَتَهُ عَنْ أَمَاكِنِ الْوُثُوبِ عَلَيْهِ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ، حَتَّى يَكُونَ لَنَا فِي الدُّنْيَا عَنِ الْمَحَارِمِ ذَائِدًا، وَإِلَى

---

(١) الضرائب: الطبائع. مفردها ضريبة، وهي الطبيعة والسجية.

(٢) مدانئ الأخلاق: خسائسها ورذائلها، جمع مدنأ مصدر ميمي بمعنى الدناءة.

النَّجاةِ فِي غُرْبَةِ الْقِيامَةِ قَائِدًا، وَلَنَا عِنْدَكَ بِتَحْلِيلِ حَلَالِكَ وَتَحْرِيم حَرَامِكَ شَاهِدًا، وَبِنَا عَلَى خُلُودِ الأَبَدِ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَافِدًا - يا كَرِيمُ.

* * *

(اللَّهُمَّ) وَسَهِّلْ بِهِ عَلَى أَنْفُسِنَا عِنْدَ الْمَوْتِ كَرْبَ السِّيَاق، وَعَلَزَ[1] الأَنِين إِذَا بَلَغَتِ الرُّوحُ التَّرَاق، وَتَجَلَّى مَلَكُ الْمَوْتِ صَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَبْضِهَا مِنْ حُجُبِ الغُيُوبِ وَقِيلَ مَنْ رَاق، وَزَافَ[2] لَهَا مِنْ ذُعَافِ مَرَارَةِ الْمَوْتِ كَأْسًا مَسْمُومَةَ الْمَذَاق، وَرَمَاهَا عَنْ قَوْس المَنَايَا بِسَهْم وَحْشَةِ الْفِرَاق، وَدَنَا مِنَّا الرَّحِيلُ إِلَى الآخِرَةِ وَصَارَتِ الأَعْمَالُ قَلَائِدَ فِي الأَعْنَاق، وَكَانَتِ القُبُورُ هِيَ المَأْوَى إِلَى مِيقَاتِ يَوْمِ التَّلَاقِ - يا كَرِيمُ.

* * *

(اللَّهُمَّ) وَبَارِكْ لَنَا فِي حُلُولِ دَارِ الْبِلَى[3] وَطُولِ الإِقَامَةِ بَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَى، وَاجْعَلِ القُبُورَ بَعْدَ فِرَاقِ الدُّنْيَا خَيْرَ مَنَازِلِنَا، وَافْسَحْ لَنَا بِالقُرْآنِ العَظِيمِ ضِيقَ مَدَاخِلِنَا، وَلَا تَفْضَحْنَا يَا مَوْلَانا فِي

---

(١) العلز - بالتحريك: الهلع الذي يصيب المريض والمحتضر.
(٢) زاف - بالزاي: دفع. والذعاف - بالذال: السم.
(٣) دار البلى: هي القبر.

حَاضِرِي القِيَامَةِ بِمُوبِقَاتِ[١] الآثَام، وَاعْفُ عَنَّا مَا ارْتَكَبْنَا مِنَ الْحَرَامِ، وَارْحَمْ بالقُرْآنِ العظيم فِي مَوْقِفِ الْعَرْضِ عَلَيْكَ ذُلَّ مَقَامِنَا، وَثَبِّتْ بهِ عِنْدَ اضْطِرَابِ جُسُورِ جَهَنَّم يَوْمَ المَجَازِ عَلَيْهَا زَلَّةَ أَقْدَامِنَا، وَنَجِّنَا بهِ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَشَدَائِدِ أَهْوَالِ يَوْم الطَّامَّةِ، وَبَيِّضْ وُجُوهَنَا إِذَا اسْوَدَّتْ وُجوهُ العُصَاةِ فِي مَوْقِفِ الحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ - يا كَرِيمُ.

* * *

(اللَّهُمَّ) وَاصِلْ بهِ صَلَاحَ ظَاهِرِنَا، وَاحْجُبْ بهِ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ عَنْ صِحَّةِ ضَمَائِرِنَا، وَاغْسِلْ بهِ دَرَنَ قُلُوبِنَا وَمُوبِقَاتِ جَرَائِرِنَا، وَانْفِ بهِ وَحَرَ[٢] الشُّكُوكِ عَنْ صِدْقِ سَرَائِرِنَا، وَاجْمَعْ بهِ مُتَنَائِيَاتِ[٣] أُمُورِنَا، وَاشْرَحْ بهِ صُدُورَنَا، وَيَسِّرْ بهِ أُمُورَنَا، وَاكْسُنَا بهِ حُلَلَ الأَمَانِ فِي نُشُورِنَا، وَأَطِلْ بهِ فِي مَوْقِفِ السَّاعَةِ جَذَلَنَا وَسُرُورَنَا - يا كَرِيمُ.

* * *

(اللَّهُمَّ) وَاحْطُطْ بهِ عَنَّا ثِقَلَ الأَوْزَارِ، وَهَبْ لَنَا بهِ حُسْنَ

---

(١) موبقات: مهلكات.

(٢) الوحر - بالتحريك: الغش.

(٣) متنائيات: متباعدات ومتفرقات، من تناءى: بمعنى تباعد.

شَمَائِلِ الأَبْرَارِ، وَاقْفُ بِنَا آثَارَ الَّذِينَ قَامُوا لَكَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ، حتَّى تُوجِبَ لَنَا بِهِ فَوَائِدَ غُفْرَانِكَ، وَتُحفَ بوَادِيَ إحْسَانِكَ، وَمَوَاهِبَ صَفْحِكَ وَمَغْفِرَتِكَ وَرِضْوَانِكَ، يَا أَكْرَمَ مَنْ سُئِلَ، وَأَوْسَعَ[1] مَنْ جَادَ بالعَطَايَا - ثلاثًا - طَهِّرْنَا بِكِتَابِكَ الْكَرِيم مِنْ دَنَسِ الخَطَايَا، وَهَبْ لنَا الصَّبْرَ الجَمِيلَ عِنْدَ حُلُولِ الرَّزَايَا، وَامْنُنْ عَلَيْنَا بالاسْتِعْدَادِ عِنْدَ نُزُولِ المَنَايَا، وَعَافِنَا مِنْ مَكْرُوهِ مَا يَقَعُ مِنْ مَحْذُورِ البَلَايَا - يا كَرِيمُ.

* * *

أَتُرَاكَ تَغُلُّ[2] إلَى الأَعْنَاقِ أَكُفًّا تَضَرَّعَتْ إلَيْكَ، وَاعْتَمَدَتْ فِي صَلاتِهَا رَاكِعَةً وَسَاجِدَةً بَيْنَ يَدَيْكَ، أَو تُقَيِّدُ بِأَنْكَالِ الجَحِيمِ[3] أَقْدَامًا سَعَتْ إلَيْكَ، وَخَرَجَتْ مِنْ مَنَازِلِهَا لَا حَاجَةَ لَهَا إلَّا الطَّمَعُ وَالرَّغْبَةُ فِيمَا لَدَيْكَ مَنًّا مِنكَ عَلَيْهَا - يا سَيِّدِي - لا مَنًّا مِنْهَا عَلَيْكَ، بَلْ لَيْتَ شِعْرِي! أَتُرَاكَ تُصِمُّ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا أَسْمَاعًا تَلَذَّذَتْ بِحَلَاوَةِ تِلَاوَةِ كِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ، أَوْ تَطْمِسُ بالعَمَى فِي ظُلَمِ مَهَاوِيها أَبْصَارًا بَكَتْ إلَيْكَ، خَوْفًا مِنَ العِقَابِ وَفَزَعًا مِنَ الحِسَابِ أَمَا

---

(١) في الأصل: «ووسع» والأولى ما أثبتنا ومن أسمائه تعالى «الواسع».
(٢) أتراك تغل إلخ: أي أيظن بك أن تفعل هذا ! كلا! فهو استفهام بمعنى النفي.
(٣) أنكال الجحيم: قيودها في الأقدام. وأما أغلالها ففي الأعناق.

وَعِزَّتِكَ وَجَلالِكَ، مَا أَصْغَتِ الأَسْمَاعُ حَتَّى صَدَّقَتْ، وَلَا أَسْبَلَتِ الْعُيُونُ وَاكِفَ الْعَبَرَاتِ حتَّى أَشْفَقَتْ، وَلَا عَجَّتِ الأَصْوَاتُ إِلَيْكَ بالدُّعَاءِ حتَّى خَشَعَتْ، وَلَا تَحَرَّكَتِ الأَلْسُنُ نَاطِقَةً باسْتِغْفَارِهَا حتَّى نَدِمَتْ عَلَى مَا كَانَ مِنْ زَلَلِهَا وَعِثَارِهَا، فَيَا مَنْ أَكْرَمَنَا بالتَّصْدِيق، عَلَى بُعْدِ أَعْمَالِنَا مِنْ شَوَاهِدِ التَّحْقِيق - أَيِّدْنَا (اللَّهُمَّ) مِنْكَ يَارَبِّ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ الْمُبَارَكَةِ الْمُعَظَّمَةِ عِنْدَ خَتْمِ الْقُرْآنِ بالعِصْمَةِ وَالتَّوْفِيق (ثلاثًا) ياكَرِيمُ.

* * *

(اللَّهُمَّ) وَآنِسْ وَحْشَتَنَا بِطَاعَتِكَ يا مُؤْنِسَ الفَرْدِ الْحَيْرَانِ فِي مَهَامِهِ القِفَارِ، وَتَدَارَكْنَا بِعِصْمَتِكَ يا مُدْرِكَ الغَرِيقِ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ، وَخَلِّصْنَا اللَّهُمَّ بِلُطْفِكَ مِنْ شَدَائِدِ تِلْكَ الأَهْوَالِ والأَخْطَار، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الأَخْيَارِ، صَلاةً يَغْبِطُهُمْ بِهَا مَنْ حَضَرَ المَوْقِفَ يَوْمَ الدِّينِ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى آبائِهِ وَإِخْوَانِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ، وَعَلَى أَتْبَاعِهِ وَأَشْيَاعِهِ مِنَ المُوَحِّدِينَ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ، وعَلَى أبينا آدَمَ وَأُمِّنَا حَوَّاءَ وَمَنْ وَلَدَا مِنَ المُؤْمنِينَ، وَعَلَى الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَتَابِعِي التَّابِعين، مِنْ يَوْمِنَا هَذَا إلى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَلَيْنَا مَعَهُمْ وَفِيهِمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ (ثلاثًا).

[وَهَبَ اللَّهُ[1] لَنَا ولَكُمْ سَوَالِفَ الآثَام وَعَصَمَنَا وَإِيَّاكُم فِيمَا بَقِيَ مِنَ الأيَّام، وَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنكُمْ الصَّلَاةَ، والقِرَاءَةَ والصَّدَقَةَ والدُّعَاءَ والحَجَّ والصِّيام، وَأَحَلَّنَا وَإِيَّاكُمْ بِرَحْمَتِهِ دَارَ السَّلامِ، وَلَا أَرَانَا وإِيَّاكُمْ قَبِيحًا بعدَ هذا المقام، وَتَلَقَّى سادتنا وساداتكم، وأَمواتَنَا وأمواتَكُمْ وأمواتَ المسلمين بالإتحاف والإجلال والإكرام والإعظام والإنعام].

وصلى اللَّه عَلَى سيدنا محمدٍ خيرِ الأنام، وعلى آله الخيرةِ البَرَرَةِ الكرام، مصابيح الظلام أفضل التحية والسلام، وسلّم تسليمًا كثيرًا؛ والحمد للَّه ربّ العالمين ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

تم هذا الدعاء المبارك.

صحح هذا الدعاء وضبطه وشرح عليه السيد/ أحمد عبد العليم البردوني من علماء الأزهر الشريف عفى اللَّه عنه.

وأسأل اللَّه جلت قدرته أن ينفع بهذا الكتاب كل من اطلع عليه؛ وعمل بمقتضاه؛ وأن يثيبنا على تأليفه بقدر ما لنا من حسن النية وكمال الإخلاص.

---

(١) الظاهر أن ما بين المربعين إنما يقال عند ختم الجمع من القراء في حضورهم، كما في المقارئ المعروفة.

فهرس الموضوعات

* * *